



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique
كلية العلوم الاجتماعية
قسم علم النفس و الارطفونيا

محاضرات في مقياس

علم النفس النمو والفروقات الفردية
السنة الثانية - شعبة علم النفس

إعداد الأستاذة :

د/ خديجة ملال

السنة الجامعية: 2022/ 2023

المحتويات

الصفحة	عنوان المحاضرة
03	مقدمة عامة
مدخل إلى علم النفس النمو والفروق الفردية	
05	المحاضرة الأولى : المفاهيم الأساسية في علم النفس النمو
09	المحاضرة الثانية : العوامل المؤثرة في النمو
15	المحاضرة الثالثة: مراحل النمو ومظاهره
21	المحاضرة الرابعة: الفروقات الفردية
نظرية علم النفس التكويني عند جون بياجيه	
32	المحاضرة الخامسة : أسس وقوانين نظرية علم النفس التكويني عند جون بياجيه
37	المحاضرة السادسة: مراحل النمو المعرفي عند جون بياجيه
نظرية الشخصية عند هنري فالون	
47	المحاضرة السابعة: اسس وقوانين نظرية الشخصية عند هنري فالون
51	المحاضرة الثامنة: مراحل نمو الشخصية عند هنري فالون
نظرية التحليل النفسي عند سريغمووند فرويد	
59	المحاضرة التاسعة : المفاهيم الأساسية لنظرية التحليل النفسي
70	المحاضرة العاشرة: اللبيدو ومرآحل نموه
80	المحاضرة الحادية عشر: النزوة
83	المحاضرة الثانية عشر: الآليات الدفاعية ونظرياتها
88	المحاضرة الثالثة عشر: تصنيف الآليات الدفاعية
العلاقة بالموضوع	
102	المحاضرة الرابعة عشر: العلاقة بالموضوع عند روني سبيتز
106	المحاضرة الخامسة عشر: العلاقة بالموضوع عند ميلاني كلاين
109	المحاضرة السادسة عشر: العلاقة بالموضوع عند مارغريت ماهرل
111	المراجع

مقدمة عامة

يعتبر علم النفس النمو والفروق الفردية من أهم فروع علم النفس العام باعتباره علما قائما بذاته نظرا للاهمية العلمية التي يكتنفها وك أرضية علمية لطالب علم النفس في السنة الثانية تؤهله ضمن أهداف عامة للتعرف على مواضيع هذا العلم ليكون قاعدة معرفية تسمح له على الاقل مواصلة تكوينه الاكاديمي في ميدان علم النفس

أما الأهداف الخاصة فتتمثل أهداف التعليم وفق ما نصت عليه وثيقة عرض التكوين الى الوصول بالطالب الى مجموعة من الكفايات التعليمية العلمية تمكنه من التعرف على مختلف مراحل النمو وخصائصها، مظاهرها ومشاكلها، وتبيين مختلف القوانين والمبادئ والعوامل المؤثرة فيه بغية تفسير السلوك الانساني من مرحلة عمرية الى اخرى وكذا النظريات النفسية التفسيرية للنمو

بالنسبة للمحتوى التعليمي للمقياس فقسم الى ستة محاور اذ يتناول المحور الاول مدخل الى علم النفس النمو والفروقات الفردية، والمحور الثاني خصص لدراسة نظرية النمو عند جون بياجيه والذي يعرف باسم علم النفس التكويني، أما المحور الثالث فخصص لدراسة نظرية الشخصية عند هنري فالون، في حين خصص المحور الرابع لدراسة نظرية التحليل النفسي، أما المحور الخامس فاهتم بدراسة العلاقة بالموضوع عند روني سبيتر، ميلاني كلاين ومارغريت ماهرل.

قدمت هذه المطبوعة ضمن مقياس علم النفس النمو والفروقات الفردية لطلبة السنة الثانية شعبة علم النفس خلال السداسيين الثالث والرابع بهدف تحقيق مجموعة من المكتسبات المعرفية في اطار تعليم تراكمي مبني على معارف قبلية أرضيتها علم النفس في السداسي الأول، وتمهيدا لاكتساب مقاييس أخرى ذات صلة وتحديدا في تخصص علم النفس العيادي (علم النفس المرضي للطفل والمراهق وكذا علم النفس المرضي للراشد والمسن، المنهج العيادي ودراسة الحالة) تؤهل الطالب وترشده في حياته العلمية والعملية وخصوصا فيما يتعلق بمعرفة الجانب السوي للأفراد في مختلف المراحل العمرية حتى يتمكن من تحديد الجانب اللاسوي لها وبالتالي القدرة على التشخيص والتكفل النفسي مستقبلا

مدخل إلى علم النفس النمو والفروقات الفردية

المحاضرة الأولى: المفاهيم الأساسية في علم النفس النمو

1. تعريف علم النفس

هو الدراسة العلمية لسلوكيات الإنسان بهدف التوصل إلى فهم هذا السلوك، تفسيره، التنبؤ به والتحكم فيه ضمن البيئة التي يعيش فيها (الخليدي، 1997، ص 10)

2. تعريف النمو

النمو لغة كلمة مأخوذة من الفعل نما ، ينمو ، نموا بمعنى زاد وارتفع، أو زاد وكثر، يقال نما الوزع، نما الولد، نما المال .(المعجم الوسيط، 2011، ص 965) ، أما اصطلاحاً فيعني التطور والانتقال من مرحلة إلى أخرى من خلال وجود عدد من التغيرات التي تطرأ على الفرد في مجالات متعددة من حياته (تطور عضوي، عظمي، معرفي، نفسي، اجتماعي ثقافي).

(السيد عبد القادر شريف، 2014، ص 35)

فيما يلي أهم تعاريف النمو من وجهة نظر مجموعة من الباحثين والعلماء

يعرفه نوربال سيلامي N.Sillamy على أنه تطور تدريجي من مستويات بسيطة إلى مستويات معقدة

ويعرفه السن Olsen بقوله " أننا نستخدم كلمة النمو لقياس التطور ، فالنمو يتعلق بالتغير في الحجم والتعقيد والتناسب وسائر التغيرات الكيفية كذلك التي تطرأ على العضلات، العظام، الشعر، لون البشرة وما إليها"

أما بلوخ Bloch فيعرفه على انه تزايد في حجم ومكونات وأعضاء وأجزاء الجسم، ويحدث في فترة محددة، إذ يتوقف عند الجنس الإنساني ما بين 18 و 20 سنة عند الرجل، وما بين 16 و 17 سنة عند المرأة في المتوسط (الاشول، 2008، ص 29)

كتعريف عام يمكننا القول أن النمو عبارة عن سيرورة مستمرة غير عشوائية ، وسلسلة متلاحقة من التغيرات التي تطرأ على الفرد ، تمس جميع الجوانب: الجسمية، العقلية، الاجتماعية والنفسية، عبر مراحل حياة الفرد منذ بدء تكوينه في رحم الام الى غاية وفاته

3. تعريف علم النفس النمو

هو الدراسة العلمية لكافة التغيرات التي تحدث للكائن الحي بمظاهرها الجسمية ، العقلية، النفسية، الاجتماعية والسلوكية منذ لحظة الإخصاب إلى نهاية الحياة، بهدف صفها وتبيين ارتباطها مع بعض ها وكذا الكشف عن القوانين والمبادئ المنظمة لها بغية تفسير جوانب السلوك في مراحل العمر المختلفة، وأسباب التغيرات من مرحلة عمرية إلى أخرى. (عباس، 1999 ، ص 12)

4. أهمية دراسة النمو:

تكمن أهمية النمو في :

1. معرفة العوامل المؤثرة فيه ومطالبه في كل مرحلة من المراحل العمرية بهدف مساعدة الآباء والمعلمين والمهتمين بتربية الطفل في تهيئة أحسن الشروط اللازمة للنمو الصحيح للأطفال
2. يساعد على ضبط سلوك الطفل في مراحل نموه والإحاطة بأحسن الإمكانيات التي تتيح له أفضل عملية تكيف نفسي واجتماعي
3. يساعد على فهم خصائص كل مرحلة من مراحل النمو بهدف تفسير سلوك الفرد وبالتالي فهم العوامل التي تؤثر في عملية النمو إما بالإيجاب أو السلب (إعاقة أو تقدم)
4. التحقق من الفروض العلمية ووضع النظريات التي تفسر ظاهرة النمو بمختلف جوانبها الجسمية، العقلية، النفسية والاجتماعية
5. التعرف على معدلات النمو الطبيعية والشاذة (المرضية)، السريعة والبطيئة بهدف التشخيص والعلاج في حالة وجود اضطرابات
6. التطرق إلى نمو السلوك وتطور الوظائف النفسية لتحديد أحسن الشروط البيئية التي تؤدي إلى أحسن نمو ممكن وتسيير اكتساب اصح لأساليب التكيف الاجتماعي

7. ضبط سلوك الطفل وبالتالي التنبؤ عن أسباب سلوكياته في المستقبل ، هذا بعد التمكن من التعرف على مميزات النمو العامة للطفل ومختلف ما يحيط به من ظروف اجتماعية

(عيساوي، 2001، ص 33)

5. خصائص النمو

يتميز النمو بمختلف جوانبه بمجموعة من الخصائص نوجزها في النقاط التالية:

1. الانتقال من مرحلة إلى أخرى لا يتم بصورة فجائية وإنما يكون تدريجيا ويحدث من جانبيين:

أ. الجانب التكويني: ويتمثل في نو الفرد من حيث الطوب، الوزن، نمو الأعضاء الداخلية والخارجية كالعضلات والمعدة نتيجة التفاعلات الكيميائية التي تحدث في الجسم، فالطفل ينمو ككل في مظهره الخارجي العام، وينمو داخليا تبعا لنمو أعضائه المختلفة

ب. الجانب الوظيفي: يقصد به نمو الوظائف الحسية، الجسمية، العقلية والاجتماعية التي تساعد على مساهمة تطور حياة الطفل واتساع نطاق بيئته كالتفكير ، التذكر، اللعب، الجري...

(السيد عبد القادر شريف، 2014، ص 35)

2. يتميز كل فرد بإيقاع نمو، فقد يكون سريعا أو بطيئا، كما قد يكون طبيعيا (سويا)، أو غير طبيعيا (غير سوي)

3. يسير النمو من العام إلى الخاص، إذ تأخذ حركات الطفل نوع من الانتظام بعد أن كانت في الطفولة المبكرة عشوائية وكلية وأصبح يقوم بها أعضاء متخصصة وليس الجسم ككل

4. يسير النمو نحو التكامل والتناسق مثلا تتعاون عضلات الجسم في أداء الوظائف المختلفة (مثلا عند التقاط شيء من الأرض تشترك عضلات الذراع، الظهر، الساقين، البصر..)

5. لا يكون معدل النمو متساويا في جميع مراحل النمو إذ يكون سريعا في الطفولة ثم يقل مع التقدم في

السن

6. هناك فروقا فردية بين الأفراد في سرعة نمو قدراتهم ومستوى نضجهم فمثلا اللغة والمشي لا يبدأان لدى الأطفال في نفس السن لأن لكل طفل إيقاع نمو خاص به
7. من الملاحظ أن نمو الإناث يسبق نمو الذكور بنحو سنة أو سنتان إذ تصل إلى مرحلة المراهقة قبله وهو حال النمو الجسمي عامة (ميموني، 2010، ص 18)
8. النمو عملية كلية وداخلية، إذ تحدث داخل الكائن الحي نفسه وتمس جميع الجوانب: الجسمية، العقلية، النفسية والاجتماعية، ويعد وحدة متصلة ومستمرة متأثرة بالمرحلة السابقة
9. ترتبط مظاهر النمو ببعضها إيجابا حيث القدرة الحركية مثلا تعين النمو المعرفي، حيث يصبح الطفل قادرا على استطلاع بيئته، كما أن المشي يؤثر في السلوك الاجتماعي
10. تؤثر مظاهر النمو ببعضها وتتأثر كذلك ، حيث يؤثر النمو الجسمي على النمو العقلي، وإذا لم يحصل الطفل على احتياجاته الضرورية للنمو الجسمي فان نمو العقلي سيتأثر حتما بنواحي الضعف الجسمية ، لهذا فسد حاجات الطفل الجسمية يساعده على اكتساب عادات انفعالية سليمة

(عباس، 1999 ، ص48)

المحاضرة الثانية: العوامل المؤثرة في النمو

يتأثر النمو بمختلف مظاهره بمجموعة من العوامل نوجزها في المحاور التالية:

1. العوامل البيولوجية

1.1. الوراثة:

تعرف الوراثة على أنها انتقال الصفات أو السمات عن طريق الصبغيات عبر الأجيال (من الأجداد إلى الأبناء)، كما تعرف أيضا على أنها انتقال الصفات من جيل الى الجيل الذي يليه ، وقد لاحظ الانسان من القدم أن الأطفال يتشابهون مع ابائهم في بعض الصفات الجسمية والنفسية

من أوائل من درسوا الوراثة القس النمساوي جريجور مندل G.Mendel وقد نجح في تحديد النسب التي يرثها جيل من الجيل السابق عليه، حيث يرى أن الطفل يرث من من والديه نصف ما يرث، ويرث من أجداد الجيل الأول ربع ما يرث، ويرث من أجداد الجيل الثاني ثمن ما يرث وهكذا .

(كفاي، 2008، ص 41)

وهناك مصطلح آخر هو الفطري والذي يعني ما يولد به الفرد ويضم الوراثي زائد ما حدث للجنين خلال المرحلة الجنينية

الفطري inné = الوراثة + ما حدث للجنين (عباس، 1999، ص21)

2.1. حياة الجنين (مرحلة الحمل)

تعتبر المرحلة الجنينية التي تسمى أيضا مرحلة الحمل مرحلة التأسيس، أي الأساس الحيوي لنمو الكائن البشري منذ الاخصاب الى الوضع، فهي تمثل الأشهر التسع الكاملة التي يتكون وينمو فيها الانسان، وأي حادث يطرأ فيها يؤثر اما ايجابا أو سلبا على نموه مستقبلا (الوافي، 2004، ص 8) فمثلا أثناء مرحلة الحمل هناك أمراض تصيب الأم الحامل ولها تأثير واضح على صحة الجنين ثم المولود مثل الحميراء، السيد، الكزاز وغيرها من الأمراض مما يتطلب متابعة صحية جيدة للأم والجنين، وكذلك يعد إدمان الحامل على المخدرات، الكحول ، تناول الأدوية دون استشارة طبية، التعرض للأشعة خلال الأشهر

الأولى من الحمل ، تعرضها لحوادث مادية أو نفسية كلها تخلف أثارا وخيمة على صحة الأم والجنين .
(Rygaard, 2006, p68)

3.1. التغذية:

تعتبر التغذية مهمة جدا بالنسبة لنمو الطفل، وهي حاجة ماسة لبناء جسمه وقواه العقلية، بفضل العناصر الغذائية الأساسية البناءة التي تحتوي على البروتينات والفيتامينات والوحدات الحرة الموجودة في المواد النشوية والسكرية الى غير ذلك من المواد الضرورية

ويشير سنيه النقاش عثمان الى أن بعض الدراسات البيولوجية قد دلت على أن جسم الانسان يحتاج الى أطعمة مختلفة لنموه نموا جيدا سليما وقيامه بوظائفه على الوجه الأحسن، هذه الدراسات أكدت أيضا على ضرورة تواجد العناصر الأساسية الضرورية في الطعام نوعا وكمية كما ألحت على لزوم توافر الوجبات المتوازنة المحتوية على مختلف المواد الغذائية التي تحتاج اليها أجهزة الجسم لأداء مهامها

أما سوء التغذية ونقص العناصر التي تبني الجسم مثل البروتينات، الحديد، الكالسيوم والفيتامينات قد تعطل النمو الجسمي والعقلي خاصة في مرحلة الطفولة الأولى، فنمو الدماغ والجهاز العصبي يبدأ ببدء تكون الجنين أي أثناء الحمل (غذاء الأم مهم في هذه المرحلة وأي نقص فيه سيؤثر على الجنين) ثم ينمو بسرعة فائقة في السنوات الأربع الأولى بعد الولادة، وأي نقص غذائي في هذه السنوات (غذاء الأم والطفل معا) يؤثر تأثيرا بالغا في نمو الطفل العقلي خاصة اذا استمر مدة طويلة، وتأخر النمو العقلي يعيق الطفل على الاكتساب والتعلم، ويؤثر مستقبلا على جل قدراته الجسدية والعقلية، بحيث سوء ونقص الغذاء يؤدي الى انخفاض مناعة الطفل ويصبح عرضة للأمراض فيصاب بالاسهال والقيء، انقطاع الشهية واضطراب النضج وله آثار جسمية ونفسية هامة ، لذا تعتبر التغذية مهمة جدا لكل من الأم والطفل، ويرتبط هذا العامل بالمحيط وظروفه . (الوافي، 2004، ص 34)

4.1. النضج البيولوجي والتدريب

لكي تنمو مهارة من جانب ما لا بد من توفر عامل النضج الذي يعتبر عملية نمو داخلية مستمرة فطرية تسح للأجهزة أن تصبح وظيفية، ويحدث بطريقة لا شعورية، لكن النضج لوحده لا يكفي في عملية النمو بل يجب توفر عامل آخر هو التدريب الذي يلعب دورا هاما في مساعدة النضج البيولوجي وتطور المهارات، حيث نلاحظ أنه عندما يعيش الفرد محروما أو يعاني نقصا من النشاط الحركي ، الحسي والاجتماعي هذا يؤدي به إلى اضطرابات هامة تظهر على شكل نحافة الجسم وضعفه مع تأخر حسي، معرفي، وهذا ما أكدته الدراسات الايتولوجية سواء على الإنسان أو الحيوان كدراسة سبيتز Spitz على الأطفال المحرومين عاطفيا ، ودراسات جون بولبي Bowlby حول التعلق، ودراسات هارلو Harlew على التعلق لدى الحيوان .

ويركز الباحثون البيولوجيون على أهمية التحريض والإثارة لتطوير إمكانات الكائن، فالدراسات التي أجريت على القطط أغمضت أعينها بعد الولادة مباشرة ولم تفتح إلا بعد 3 أشهر، أصبحت القطط مكفوفة وهذا بسبب الحرمان الحسي، وهذا لأن المراكز الدماغية تتطور تحت تأثير الوراثة وتأثير المحيط وتنشيط الخلايا كي تنمو وتتطور (ميموني، 2010، ص 35)

وعلى هذا الأساس أدخل العلماء مفهوم الفترة الحرجة phase sensible والتي تعني تلك الفترات ذات طبيعة خاصة يكون التعلم فيها أسرع من غيرها، كما أن المهارات التي تكتسب خلالها تكون أثبت ، ومعرفة هذه الفترات والمراحل والاستفادة منها يساعد على تحقيق أقصى درجة من النمو بأقل مجهود ممكن (كفاي، 2008، ص 46) ، لكن إذا حدث حرمان أو نقص هام في فترة هامة من نمو وظيفية ما يمكن أن يؤثر هذا الحرمان نهائيا على تطورها (ميموني، 2010، ص 35)

2. العوامل الاجتماعية:

وتشمل الأسرة، المدرسة، الشارع

1.2. الأسرة:

تعتبر أول محيط اجتماعي يساعد الطفل على وضع حجر الأساس لبناء شخصيته من خلال تفاعله مع والديه الذين يقومون بلموار متعددة نوجزها فيما يلي:

* حفظ البقاء والأمن : وذلك من خلال العناية الأولية (أكل، نظافة، حماية، رعاية)

(السيد عبد القادر شريف، 2014، ص 61)

* الحب: علاقة تعلق وجداني بين الصغير وأسرته، هذه العلاقة تلبى حاجته إلى الاعتراف (الهوية)، التقدير، القيمة، المكانة، تنمي ثقته في نفسه وفي محيطه هذه الأخيرة تعتبرها دولتو F.Dolto كأساس للنمو السليم (Dolto, 1994, p 176)

* التنشئة الاجتماعية: تعرف بأنها سيرورة processus متواصلة من الميلاد إلى الوفاة، تسمح للفرد أن يتكيف مع محيطه ويكتسب طرق التفكير، العادات، التقاليد واللغة الخاصة بمحيطه، كما تعرف على أنها عملية تحويل الطفل من كائن يعتمد كلياً على المحيطين به إلى عضو يساهم في بناء الحياة الاجتماعية، فهي عملية التطبيع الاجتماعي التي تكسب الفرد الطابع الاجتماعي الذي يسلك به في حياته مع الآخرين، وتسمح له باكتساب الأدوار والسلوك والاتجاهات التي يتوقعها منه أفراد المجتمع، كما تسمح له باكتساب المعرفة، القيم، اللغة والمهارات الاجتماعية التي تمكنه من التكامل مع المجتمع ويسلك سلوكاً تكيفياً فيه. (كفاي، 2008، ص 45)

* الإخوة: يلعب أفراد الأسرة (الإخوة خاصة) أدوار النماذج التي يقلدها الطفل ويتقصد معاييرهم وسلوكاتهم وفي الوقت نفسه يطور فكره ولغته بخصائص اجتماعية وثقافية لأن التفاعل اللغوي والاجتماعي يسير بين الأفراد حسب خصائص الموقف والأفراد المتفاعلين وفق المعايير الاجتماعية التي تحدد الأدوار والمكانات الخاصة بالأفراد (Roger, 2004, p 108)

وبناء على ما سبق يمكن القول أنه حتى يتحقق للفرد نموا سليما يجب توفير محيط اجتماعي ثري بالتفاعلات الانفعالية والفكرية (المعرفية) والاجتماعية، لأنه دون محيط اجتماعي امن ومطمئن لا يستطيع الفرد أن ينمي إمكاناته الفكرية والنفسية والاجتماعية وهذا ما نراه بوضوح من خلال دراسة الأطفال المتوحشون، ومن جهة أخرى وجود الفرد في محيط اجتماعي لا يكفي لتطويره مثال دراسة الحرمان من عناية الأم وعيش الطفل في الملاجئ يوضح مدى تأثير نوعية العلاقة والعناية على توازن أو عدم توازن الفرد نفسيا واجتماعيا وجسميا (ميموني، 2010، ص 30)

2.2. المجتمع: ويضم:

* المدرسة: ونعني بها كل المؤسسات التربوية التي يمر بها الطفل خلال مساره الدراسي ، وفيها يتعلم ويكتسب الطفل المهارات الضرورية والأساسية لتعلم اللغة من حيث القراءة والكتابة والحساب والعلوم ، كما ينمو لديه التفكير ويتطور حسب بياجيه من التفكير الحسي العملي الى التفكير الحدسي، ثم التفكير الواقعي وصولا الى التفكير المنطقي المجرد، ثم تنمو لديه القدرة على الاحاطة العقلية لبعض ظواهر المحيط مع اصدقاء الطابع الموضوعي على ما يحيط به، بالإضافة الى اكتسابه للعادات والتقاليد الخاصة بالمجتمع ، كما تسمح المدرسة باتساع دائرة الاتصال الاجتماعي وخاصة مع الاقران وزملاء القسم الدراسي، حيث يتعرف الطفل على أطفال مثله في السن وفي الخبرة وفي العلاقات الاجتماعية، ثم مع التقدم في السن وعن طريق اللعب خاصة الجماعي تنمو لديه القدرة على المشاركة الاجتماعية وتحقيق المكانة الاجتماعية، كما تزداد صداقاته بنمو روح التعاون بينه وبين الاخرين مما يجعله مستقرا انفعاليا واجتماعيا (الوافي، 2004، ص 28)

* الشارع: ويضم كل المؤسسات الاجتماعية التي تضم الشرائح الاجتماعية من مختلف الفئات والأعمار وفيه يتعلم الفرد ويدخل في علاقة مع أشخاص آخرين (خارج نطاق الأسرة والمدرسة) ويتعرف أكثر على العادات والتقاليد، الواجبات والحقوق.

3. العوامل الفيزيائية (البيئية)

وتشمل المناخ، طابع المنطقة (جبلية، ساحلية، هضابية، صحراوية) ، موقعها في الكرة الأرضية والظروف المحيطة بها من حيث قسوتها أو سهولتها (شدة الحرارة أو انخفاضها) كلها تؤثر على شخصية الفرد وطبعه، فمثلا سكان الحوض المتوسط يعرفون بقصر القامة ، سمة البشرية على العموم ، انبساطهم وتفتحهم في العلاقات الاجتماعية عكس سكان الشمال الأوروبي (الخليدي، 1997، 27)

4. العوامل النفسية

نمو الطفل ليس حصيلة العامل الوراثي والبيولوجي وتفاعله مع العامل البيئي فحسب ، بل الطفل من جهته يؤثر على المحيط بسلوكاته من خلال رفضه أو قبوله، خضوعه وتمرده

فكل طفل منذ ولادته له إيقاعات خاصة به (النوم، الأكل، الغضب، التهيج) ، وهذه السمات لا تترك المحيط وخاصة الأم جامدة بل تدفعها إلى البحث عن أحسن الطرق للتكيف مع طفلها، فإذا لم تتكيف مع خصائصه فهذا يؤدي إلى إحساس الطفل بحالة لا أمن متواصل يهدد وجوده واستقراره ويزعزع ثقته في نفسه (يشعر بان ليس له أي قدرة على ما يسير حوله) وفي محيطه (محيط مخيف لا يستجيب)، وهذا يثير فيه قلقا واضطرابا يمكنه أن يؤدي إلى الانسحاب والانغلاق على الذات

فكلما زاد تطور الطفل وزاد وعيه بوجوده كلما زاد تأثيره على محيطه، فالوعي التدريجي بذاته وبإمكاناته وقوته يجعله يستعمل كل الحيل للوصول إلى أهدافه ، فهو يقوم بتجارب وبيحث كيف يستطيع أن يسيطر على محيطه، وفي الوقت نفسه يسيطر على ذاته، فمثلا أزمة 3 سنوات حسب فالون Wallon تبين للملاحظ مدى أهمية دور الفرد في تأسيس شخصيته وذلك من خلال معارضة المحيط كي يثبت وجوده ويعي فردانيته الفيزيائية والفكرية والنفسية والاجتماعية (ميموني، 2010، ص 36)

انطلاقا مما سبق نلاحظ أن هناك 3 عوامل أساسية تسير النمو وهي الوراثة، المحيط، ووعي الفرد بذاته، فالفرد كما يقول فالون هو الكل البيولوجي، النفسي والاجتماعي ، هذا التشابك بين العوامل هو الذي يزيد في تعقيد موضوع علم النفس النمو وفي صعوبة دراسة الإنسان

المحاضرة الثالثة: مراحل النمو ومظاهره

1. مراحل النمو:

يمر الفرد بمجموعة من المراحل التي اتفق عليها أغلب الدارسين لعلم النفس النمو والتي نلخصها كما يلي

1. الرضيع: من الميلاد إلى 2 سنوات

2. مرحلة الطفولة: 3 سنوات إلى 12 سنة، وقسمت إلى 3 فترات

* طفولة أولى (مبكرة) 3 سنوات إلى غاية 6 سنوات

* طفولة وسطى: 6 سنوات إلى غاية 9 سنوات

* طفولة متأخرة وتكون من 9 سنوات إلى 12 سنة

3. مرحلة المراهقة: وتكون من 12 سنة إلى غاية 18 سنة وقسمت هي الأخرى إلى 3 فترات وهي

* مراهقة مبكرة 12 إلى غاية 14 سنة

* مراهقة متوسطة من 14 إلى 16 سنة

* مراهقة متأخرة من 16 إلى 18 سنة

4. مرحلة الرشد وتكون من 18 إلى 60 سنة

5. الشيخوخة وتكون من 60 سنة فما فوق

(عباس، 1999، ص 52)

2. أشكال / مظاهر النمو

تتمثل أشكال ومظاهر النمو فيما يلي:

1.2. النمو الجسمي: ويشمل:

1.2.2. النمو الحركي

يولد الصغير بعد 270-290 يوم من الحمل ما يعادل 9 أشهر تقريبا، يكون وزنه 3.5 كغ، ومعدل الطول 49-51 سم، ويكزن تطور متوازن لكل أعضاء الجسم (حقي، 1992، ص21) حيث يكون:

- النمو من الميلاد إلى 4 سنوات سريعا

- من 4 سنوات إلى 9 سنوات يكون بطيئا

- من 10 إلى 20 سنة يكون النمو سريعا

- في سن الرشد يكون بطيئا (ميموني ، 2010، ص 25)

يتجلى النمو الحركي لدى الفرد من خلال وضعيات الوقوف والمشي والقبض

* ففي الأيام الأولى تظهر حركات انعكاسية بدائية عشوائية وشاملة يستجيب بها الرضيع في كل الحالات

(جوع، ألم، انزعاج..)، وبنفس الطريقة (صراخ، تشنج، تقلص العضلات، انقباض...) ثم تدريجيا

تتمايز الحركات وينتقل النمو من العام والشامل إلى الخاص والحركات الدقيقة

* في سن 3 إلى 4 أشهر يستطيع الصغير التحكم في عضلات العنق ويكون بمقدوره شد وحمل رأسه

وهذا راجع إلى استقامة العمود الفقري، لكن باقي الجسم مازال غير مستقر

* في 6/7 أشهر يستطيع الطفل الجلوس بمفرده وذلك لأن عضلات الكتفين ثم الذراعين أصبح الطفل

متحكما فيها، ثم يتطور الجزء السفلي ويتقوى الجذع والساقين

* في الشهر 8 يستطيع الطفل الحبو

* في الشهر 9/10 أشهر يقف الطفل بمساعدة

* في 12 شهر يقف بمفرده ويمشي بمساعدة

* في 14 شهر يمشي وتكون لديه حركات غير منسقة مما جعله يسقط كثيرا إذ أن وزنه يجذبه إلى الورا

* في 18 شهر يقف دون أن يتأرجح

* في 3 سنوات يقف على رجل واحدة ويتحكم في وزنه

* من 4 إلى 5 سنوات يزداد التحكم والدقة في الأداء الحركي وتصبح الحركات آلية أي لا يراقب الأرض خلال الجري مثلا (Roger, 2004, p27)

أما بالنسبة لعملية القبض فتمر بالمراحل التالية:

* في البداية يكون هناك منعكس القبض (منعكس فطري = حركات لاإرادية)

* حتى الشهر 3 تكون الحركات غير منتظمة نحو الشيء ثم يحدث القبض في الفراغ الذي يتصف بعدم التحكم في المسافة، الحجم والوزن

* في الشهر 3 يزول منعكس القبض ويخلفه القبض الإرادي أو القصدي

* بين 4 و 5 أشهر يكون لدى الطفل قبض من بعيد مع حركة الكتف

* من 5 إلى 6 أشهر يقوم الطفل بالقبض بكل اليد (الأصابع والكف)

* من 6 إلى 7 أشهر يستعمل الطفل إبهامه وهذا ما يسمح له تدريجيا بالقبض الدقيق

* في 12 شهر تكون بداية التنسيق الدقيق للحركات والذي يتواصل في السنوات المقبلة، ويصبح الطفل قادرا على القيام بنشاطات معقدة مثل القص، الطي، الرسم...

من خلال التطور الحركي تتطور لدى الطفل الاستقلالية (الأكل، اللباس، الغسل...) وتصبح عملية القبض متكيفة حسب المواضيع والأشياء بكل خصائصها (حجم، وزن، شكل).

(Roger, 2004, P26)

تعريف المنعكسات الفطرية:

هي حركات لا إرادية وتسمى أيضا بمنعكس الجهات الأصلية وهي أساسية للبقاء، تظهر هذه الحركات بسبب عدم نضج المراكز العصبية المسؤولة عن الحركة، ولعل من هم المنعكسات الفطرية نجد الرمش، المص، العطس، التثاؤب، القبض والمشى التلقائي، الصراخ والبكاء...

يتمثل دورها في المساعدة على تكيف الصغير مع محيطه وتكيف المحيط معه وبالتالي ضمان بقاء الصغير، كما أنها تعتبر الأرضية الملائمة للنمو التي تتطور من خلالها السلوكات، والنقص في هذه المنعكسات يؤدي إلى نقص في النضج على مستوى النخاع الشوكي (Rygaard, 2006, p 88)

عوامل نمو وتطور الحركة: تتمثل فيما يلي

- النضج العصبي، العضلي، العظمي

-المحيط: ويتمثل في الرغبة والتمرين

- العامل الوجداني والتمثل في حب أو مقاومة المحيط (ميموني، 2010، 66)

2.2.2. النمو الحسي:

أ. البصر (الرؤية): يعمل خلال الأشهر الأولى حيث يقوم الرضيع بإغماض عينيه أمام ضوء قوي

وفي الشهر 3 يعتبر وجه الإنسان الموضوع المفضل لدى الصغير ، وفي الشهر 4 تزداد الدقة في الرؤية ويتطور التنسيق الحركي البصري والاهتمام بالمواضيع والأشياء الملونة والمتحركة

ب. السمع: منذ الولادة يقفز الرضيع عند سماع ضجيج و صوت مرتفع، ففي الشهر 2 والنصف يتعرف على الأصوات المألوفة ويلتفت برأسه نحو مصدر الصوت، ويلاحظ تفضيل واضح للأصوات الموسيقية والإيقاعات، لكن الدراسات المجرات على الأجنة بينت أن الجنين بإمكانه السمع وعمره 7 أشهر خلال المرحلة الجنينية ويقوم بالاستجابة بحركات إذا كان الصوت مرتفعا مما يعني أن الأذن الداخلية يكتمل نموها ونضجها وتعمل في هذه الفترة .

ج. الشم والذوق : يكون متطورا منذ الميلاد، فالطفل قادر على تمييز الأذواق (حامض، حلو، مر، مالح..) والشيء نفسه مع حاسة الشم فبإمكانه التمييز بين الرائحة المألوفة (رائحة الأم مثلا) ، الرائحة الطيبة ، الكريهة..

د. اللمس: كالاتبعاد عن شيء بارد، ساخن وهو متطور أيضا لدى الصغير

نفهم من هذا أن النمو الحسي يكون متطورا لدى الصغير حتى يسمح له بالتكيف مع المحيط والتعبير عن انزعاجه أو ارتياحه، وهي وسائل دورها:

- تكوين العلاقة مع المحيط

- التكيف

- التعبير عن حاجاته مما يجعل المحيط يستجيب له (حقي، 1992، ص 25)

2.2. النمو الانفعالي (الوجداني):

يعرف على أساس نمو الانفعالات المختلفة وتطور ظهورها مثل الحب، الكره، الخوف وغيرها من المشاعر المختلفة بحيث ينمو السلوك الانفعالي عبر مراحل النمو تدريجيا من ردود الأفعال العامة نحو سلوك انفعالي خاص متمايز يرتبط بالظروف والمواقف والأشياء والأشخاص، ومن جملة الانفعالات التي تظهر لدى الفرد عبر مراحل حياته نجد: الحب، الكره، الغيرة، الخوف، الخجل، الإحساس بالذنب، مشاعر الثقة بالنفس أو الشعور بالنقص (الزغبى، 2013، ص 14)

3.2. النمو اللغوي:

يمر بمرحلتين أساسيتين هما:

* المرحلة قبل لغوية وتكون من الميلاد إلى نهاية السنة الأولى وتتميز بإصدار الطفل لمجموعة من الأصوات يكون الهدف منها هو التواصل مع المحيط والتفاعل معه وتتمثل في الصراخ والبكاء ثم المناغاة

* المرحلة اللغوية وتكون من السنة الثانية إلى 3 سنوات وهنا الطفل يمر بأربع فترات تتمثل في الكلمة ، كلمة جملة، الجملة اللانحوية وأخيرا الجملة النحوية . (Roger, 2004, p37)

4.2. النمو المعرفي

ويتمثل في المراحل التي تم تحديدها من طرف العالم جون بياجيه وقد قسم النمو المعرفي إلى 3 مراحل كبرى تتمثل في

* المرحلة الحس حركية وتكون من الميلاد إلى غاية 2 سنوات

* مرحلة ما قبل العمليات الواقعية تكون من 2 سنوات إلى غاية 5 سنوات

* مرحلة العمليات الواقعية وتكون من 6 سنوات إلى 12 سنة

* مرحلة العمليات المجردة وتكون من 12 سنة إلى 20 سنة (احمد الزغبى، 2013، ص 163)

3. مجالات علم النفس التي تدرس النمو

1.3. علم النفس النمو: يهتم بدراسة الفرد منذ لحظة تكون الجنين إلى غاية وفاته، ويهتم بدراسة مظاهر

النمو وقوانين النمو، ويشمل علم النفس التكويني وعلم النفس الطفل والمراهق

2.3. علم النفس التكويني : يهتم بدراسة الفرد منذ الميلاد إلى غاية مرحلة الرشد وكذا دراسة الطفل

والمراهق، وذلك لفهم قوانين النمو، الذكاء، المعرفة، وكذا مراحل النمو، والهدف منه تفسير الوظائف

(كيف تتكون الوظائف العقلية: ذكاء، إدراك، ذاكرة..)

3.3. علم النفس الطفل والمراهق : يدرس الطفل والمراهق في حد ذاتهما، والهدف منه هو فهم وتفسير

وتحديد مراحل النمو لكي يساعد الطفل والمراهق في المجال البيداغوجي، النفسي، العلاجي والتربوي

كل مجال من هذه المجالات يثري الآخر ويكمله (ميموني، 2010، ص 50)

المحاضرة الرابعة: الفروق الفردية

مقدمة

تعتبر الاختلافات الفردية ظاهرة عامة لدى جميع الكائنات العضوية، فمن الملاحظ أن أفراد النوع الواحد يختلفون فيما بينهم باختلاف الأنواع بعضها عن بعض، وإذا ما استعرضنا جميع الكائنات العضوية من أدناها مرتبة الى أعلاها حيث يقع أن يكون الانسان لن تجد فردين متشابهين كل منهما لموقف واحد، وقد اهتم بدراسة الفروق بين الحيوانات عدد من علماء النفس وعلى رأسهم اندرسون وتربون وكالفن هول، وقد أشارت بحوثهم الى أن أفراد النوع الواحد يختلفون في قدرتهم على التعلم وحلهم للمشكلات و أحوالهم الانفعالية للخوف والعدوان ومستوى النشاط العام لديهم

ويلاحظ علماء البيولوجيا أن أفراد النوع الواحد يختلفون تشريحيًا وفسيلوجيا في كل خاصية يمكن قياسها، فلعضاء الجسم ومعدل نشاط القلب والتنفس والغدد الصماء وغير الصماء تظهر فيها اختلافات واضحة والواقع أن ظاهرة الفروق كما تتمثل في صورتها العامة في دراسة الشخصية تعتبر مجال اهتمام مشترك لعدد كبير من العلماء في مختلف التخصصات مثل علماء البيولوجيا والانتروبولوجيا، وعلم النفس وعلم الاجتماع، وإذا كان علماء النفس والاجتماع يهتمون بدراسة الفروق الفردية، الا أن علماء الاجتماع يهتمون بالتأثيرات الاجتماعية أو البيئية في نمو الفروق، بينما يهتم علماء النفس بدراسة مشكلات الفروق الفردية

1. تعريف الفروق الفردية

يعرفها عماد أحمد حسن على أنها الانحرافات الفردية عن المتوسط الجماعي في الصفات المختلفة، وقد يضيق مدى هذه الفروق أو يتسع وفقا لتوزيع المستويات المختلفة لكل صفة من الصفات التي تهتم بتحليلها ودراستها، فهي بهذا المعنى مقياس علمي لمدى الاختلاف في مفهومي التشابه والاختلاف، التشابه النوعي في وجود الصفة والاختلاف الكمي في درجات مستويات هذا الوجود، وبعبارة أخرى الفروق الفردية هي الدراسة العلمية لمدى الاختلاف في الصفات المتشابهة

(عماد أحمد، 2010، ص 25)

أما سليمان عبد الواحد يوسف فيعرفها على أنها الانحرافات الفردية عن متوسط المجموعة التي ينتمي إليها الفرد في أي صفة أو سمة مقاسة، سواء كانت هذه الصفة نفسية، جسدية، بحيث يتوزع الأفراد ما بين أعلى وأقل درجة في الصفة المقاسة (سليمان عبد الواحد، 2011، ص 167)

ويعرفها طلعت منصور على أنها الانحرافات الفردية عن المتوسط الجماعي في الصفات المختلفة، أما أناستازي فترى أنها علم دراسة الفروق السيكولوجية بين الأفراد أو بين الجماعات

(أسعد شريف الامارة، 2014، ص 20)

2. الأسباب والعوامل المساهمة في الفروق الفردية

1.2. الوراثة والبيئة : تعرف الوراثة على أنها مجموع الخصائص والسمات والاستعدادات الوراثية أو الجينات التي تحملها الصبغات أو الكروموزومات التي تنتقل من جيل الآباء الى الأبناء، فهي تساهم في تحديد الصفات الجسمية كالطول، الوزن، لون البشرة، أما البيئة فهي مجموعة العوامل الخارجية المادية والاجتماعية والثقافية في المجتمع التي تؤثر تأثيرا مباشرا أو غير مباشر في وراثة الفرد، وتتكون من مجموعة عوامل تعمل في تأثيرها منفردة أو مجتمعة أبرزها البيئة الأسرية، حجم الأسرة، المستوى الاقتصادي، الاجتماعي، التعليمي، مكان المعيشة وظروفها (حسين محي الدين، 1982، ص76)

وتساهم البيئة بدرجة كبيرة في تحديد السمات الشخصية والاهتمامات، أما فيما يتعلق بالقدرات المعرفية والعقلية فان الوراثة تحدد المستوى الكامن الذي يمكن للفرد الحصول عليه في أحسن الأحوال، أما البيئة تؤثر على مستوى النمو الذي يحدث في الواقع، فمثلا اذا كان للفرد قدرة موسيقية موروثية (كامنة) فان تطويرها يتوقف على مدى توفر شروط التعليم والتدريب (البيئة)

وعليه نستخلص أن أي صفة من صفات الفرد هي نتيجة تفاعل العوامل البيئية والوراثية

(مقدم عبد الحفيظ، 2003، ص 12)

2.2. العمر الزمني: تزداد الفروق الفردية بين الافراد في النواحي العقلية والمعرفية مثلا تبعا لتزايد العمر، فقد أكد علماء النفس على أن الذكاء له علاقة بالعمر الزمني للفرد.

3.2. الجنس والخبرة : هناك افكار شائعة تقرر بأن الذكاء مثلا عند الذكور أعلى منه عند الاناث، غير أن الفروق بين الجنسين في متوسط الذكاء تميل الى ان تكون ضئيلة، وقد لوحظ على الدوام على أن الذكور يتميزون عن الاناث في المهارات والقدرات الميكانيكية وفي الاختبارات العددية، وتتفوق الاناث في الاختبارات التي لها علاقة بالدقة وبالاعمال الدقيقة، لكن على العموم لا يمكن قياس قدرة كالذكاء بين الجنسين لأنه لكل جنس خاصية معينة على مستوى الذكاء (عماد أحمد، 2010، ص 37)

4.2. معدلات النمو : اذ يختلف الطلاب في معدلات النمو وهذا التفاوت يترتب عليه صعوبات التكيف لمطالب المدرسة

5.2. الميول والاستعدادات : يختلف الطلاب في قدراتهم واستعداداتهم في مجالين رئيسيين هما : القدرات العقلية والقدرات الحركية، لذلك وجب مراعاة اختلاف الفروق الفردية للفرد ذاته فمنهم من لديه ميول واستعداد للحساب ولا يكون لديه استعداد لتعلم اللغة

وإذا دققنا الملاحظة في استعدادات التلاميذ ومواهبهم فسنجد أنواعا متباينة من القدرات والميول، فهناك أفراد يحصلون على نقاط عالية في اللغات وآخرون في الرياضيات والبعض الآخر في الأشغال اليدوية والمهارات العملية .بل ونجد كذلك التلاميذ المتفوقين في كل المواد ودائما في مقدمة الترتيب ، والتلاميذ المتخلفين في كل شيء تقريبا ويحتلون المراتب الأخيرة .ولهذا تبدو مهمة المدرس في التقريب بين مستويات التحصيل لدى التلاميذ صعبة ويحتاج إلى معرفة وفهم الفروق الفردية بين التلاميذ حتى يعامل كل واحد على أساس ما يملك من الاستعدادات والقدرات. (الشرييني، 2005، ص25)

3. أشكال الفروق الفردية

1.3. الفروقات الفردية في النواحي الجسمية : تعد من أكثر الفروقات سهولة في التعرف عليها خاصة الجوانب الظاهرة منها ، كما أن الجهاز العصبي والغددي هو المسؤول عن المظاهر الحركية والانفعالية

2.3. الفروقات الفردية في النواحي المزاجية : المزاج هو تلك المحصلة الناتجة عن تفاعل عناصر البيئة، ونقصد بالبيئة هي البيئة الاجتماعية التي يكون لها تأثير على الفرد كانبواء الطفل نتيجة الطلاق

3.3. الفروقات الفردية في النواحي الخلقية: يعتبر بعض العلماء أن الخلق وجه من وجوه الشخصية

4.3. الفروقات الفردية في النواحي العقلية والمعرفية: للنواحي العقلية دور كبير في إبراز الفروقات

الفردية بين الأفراد، مثل اختلاف القدرة على الانتباه (سليمان عبد الواحد، 2011، ص35)

5.3. الفروق في التحصيل الدراسي : وفيها يعتبر الذكاء من اهم العوامل المساعدة على التحصيل

الدراسي، بالإضافة الى الدافعية والتوافق الشخصي، ومستوى الطموح والاهتمامات الخاصة

اولا : عوامل تنسب الى المتعلم: وتضم:

أ. اختلاف نسبة الذكاء: الفرد ذو الذكاء المرتفع أفضل من الفرد ذو الذكاء المتوسط في القدرة على الفهم والتفكير وإدراك العلاقات وغيرها من القدرات الأساسية التي تؤثر في التحصيل الدراسي.

ب. اختلاف الاستعدادات والميول: المناهج والانشطة المدرسية التي تتفق مع يول واستعدادات المتعلم تزيد من تفوقه الدراسي

ج. الحالة الصحية والمزاجية للمتعلم: المتعلم الذي يعاني مرضا معيناً يقل نشاطه العام بغض النظر عن ذكائه ، كما تؤثر الحالة المزاجية للمتعلم من حزن او سعادة على درجة تحصيله الدراسي

د. اختلاف مدى الانتباه: يتأثر انتباه المتعلم بعدة عوامل منها الحالة المزاجية، درجة الذكاء، الاستعدادات والميول، مستوى الطموح، والدافعية

هـ. اختلاف مستوى الطموح والدافعية: المتعلم ذو الطموح تزيد امكانية نجاحه وتفوقه الدراسي والعكس صحيح

و. الضعف التراكمي لتحصيل المادة العلمية: قد يكون له الاثر في ظهور الفروق الفردية خاصة عندما لا يشخص الضعف ولا يعالج في وقت مبكر

ثانيا: عوامل تنسب الى المعلم: وتضم ما يلي:

أ. قدرة المعلم على التنوع في طرق التدريس في وسائل الايضاح المستخدمة: قد يستخدم المعلم طرق تدريس تناسب بعض المتعلمين ولا تناسب البعض الاخر مما يؤدي الى التباين في الحصيل الدراسي، او قد لا تشمل طرق التدريس جانب التشويق والاثارة

ب. قدرة المعلم على التعامل مع الانماط النفسية والشخصية المختلفة: يختلف المتعلمون في انماطهم النفسية ويظهر دور المعلم في استخدام الحوافز المناسبة في التدريس

ج. الحالة النفسية والمزاجية للمعلم ومدى تاثر المتعلمين بها: لوجود بعض المشاكل لدى المعلم تتغير حالته الانفعالية من غضب واكتئاب فتتأثر طريقة شرحه وتعامله مع المتعلمين الذين يتأثر تحصيلهم الدراسي بناء على تاثرهم بالحالة المزاجية للمعلم

د. قدرة المعلم على تصميم واستخدام اختبارات تحصيلية جيدة: الاختبار الجيد هو ذلك الاختبار الذي يكون موضوعيا وشاملا ومراعيا للفروق الفردية للمتعلمين، اما الذي يفتقر لذلك فانه يتيح الفرصة لعوامل الحظ والتخمين (خليل، 2005، ص102)

4. الخصائص العامة للفروق الفردية

توجد عدة خصائص للفروق الفردية تتمثل فيما يلي

1.4. مدى الفروق الفردية: نعني بها الى أي حد تتسع الفروقات أو تضيق من شخص لآخر، يعتمد في تحديده على الطرق الاحصائية وأهمها ما يسمى بالمدى المطلق وهو الفرق بين أكبر درجة وأقل درجة من درجات المفحوصين، كما يمكن استخدام الانحراف المعياري الذي يساعد على مقارنة الاختلاف بين الجماعات الواحدة، ونلاحظ أن أكبر مدى نجده في سمات الشخصية، يلي ذلك القدرات العقلية، و أقل مدى نجده في الصفات الجسمية، ويتأثر مدى الفروقات بعدة عوامل أهمها:

* تعقد المهارات: حيث تزداد الفروقات بين الناس بتعدد المهارات التي يتعلمونها، فكلما كانت المهارة بسيطة تمكن الناس من تعلمها وبالتالي تقل الفروقات بينهم

* دور الوراثة والبيئة: فالصفات التي تتأثر بالوراثة بصورة كبيرة يكون مدى الاختلاف بين الناس فيها قليلا كالصفات الجسمية مثلا التي تلعب البيئة والوراثة دورا فيها

* نوع الجنس: أثبتت البحوث التجريبية التي أجريت على الذكور والاناث أن النمو العقلي عند الاناث أعلى منه عند الذكور، وخلال مرحلة المراهقة يزداد نمو الذكور عن الاناث ثم تتقارب المستويات في النمو العقلي وخاصة الذكاء لدى الجنسين، لكن أظهرت الدراسات التي تعنى بدراسة مستويات التفوق في بعض المهارات والقدرات ووجدت أن الذكور يتفوقون عن الاناث في القدرات العددية و الميكانيكية، في

حين تتفوق الاناث عنهم في القدرات اللغوية ، القدرة على التذكر، واختبارات الدقة والخفة في استماع الأصابع، وأعمال السكرتارية

وتشير أناستازي في كتابها القياس السيكولوجي أنه ينبغي على الأخصائي النفسي عند تفسيره لنتائج المقياس مع الذكور والاناث أن يضع في اعتباره البنود التي تعكس الاختلافات بين الجنسين ، فالفروق الفردية بين الجنسين لا تظهر فقط في الجانب العقلي والمعرفي بل تظهر أيضا في سمات وجوانب الشخصية كالانبساط والانطواء مثلا . (أسعد شريف الامارة، 2014، ص 41)

2.4. معدل ثبات الفروقات الفردية : تعتبر الفروق الفردية العقلية من أكثر الفروقات ثباتا لا سيما بعد مرحلة المراهقة

3.4. التنظيم الهرمي للفروقات الفردية : ان جميع الصفات العقلية والمزاجية ت أخذ شكلا هرميا في تنظيمها بحيث يحتل رأس الهرم أكثر الصفات عمومية، ويليهما الأقل حتى نصل الى الصفات الخاصة

4.4. توزيع الفروقات الفردية : لمعرفة توزيع الفروقات الفردية التي ت أخذ الطابع الكمي في أغلب الأحيان فان ذلك يقتضي فحص جداول التوزيعات التكرارية لدرجات هذه الفروقات، وفحص الرسوم البيانية التي تلخص هذه التوزيعات وتنظمها مما يسهل فهمها. (مراد يوسف، 2011، ص 127)

5. الفروق الفردية والشخصية

ان ما يهمننا في الدراسة النفسية هو الشخصية الانسانية التي تعرف على أنها ذلك النظام المتكامل من السمات الجسمية والنفسية الثابتة نسبيا، والتي تميز الفرد عن غيره، وتحدد أساليب نشاطه وتفاعله مع البيئة الخارجية والاجتماعية، او هي ذلك النمط الفريد الذي يميز الشخص عن غيره من خلال مجموعة من الصفات والسمات التي يمكننا تصنيفها الى مجموعتين رئيسيتين

1.5. مجموعات الصفات الجسمية

وهي تلك التي تتعلق بالنمو الجسمي العام والصحة العامة، ويمكن أن نميز فيها بين السمات العامة مثل الصحة العامة، وبين الصفات الخاصة مثل الطول، الوزن، أو بعض العاهات الجسمية، وبعض الخصائص الحسية والحركية

2.5. مجموعات الصفات التي تتعلق بالتنظيم النفسي

وتعني ذلك النظام المتكامل من السمات النفسية التي تميز الفرد في تفاعله مع مواقف الحياة والتي تحدد أهدافه، وتميز سلوكه في كيفية وتوافقه مع الظروف المادية والاجتماعية، كما تحدد أساليب تعامله مع الناس المحيطين به، أو أسلوب حياته، وينقسم التنظيم النفسي بدوره الى بعدين أساسيين هما:

* تنظيم عقلي معرفي ويتضمن الاستعدادات والقدرات أو الذكاء العام، والتحصيل والمهارات والقدرات التي تنتمي الى التنظيم العقلي المعرفي (القدرة الرياضية، العددية، الميكانيكية، اللغوية، الفنية والابتكارية)

* تنظيم انفعالي مزاجي: ويشمل العادات، الدوافع والاتجاهات، الانفعالات والقيم، العواطف والميول، السمات الخاصة كالانطوائية، الانبساط، الخضوع والسيطرة، العدوان والمسالمة

(عماد أحمد، 2010، ص 28)

6. أهمية دراسة الفروق الفردية في علم النفس

لا يهتم علم النفس الفارق على وجه الخصوص بدراسة الفروقات بين الناس لمجرد الرغبة في فهم الشخصية الانسانية فحسب، وانما لأن المجتمع المعاصر بلغ درجة عالية من التعقيد بصورة تنوعت فيها التخصصات وتباينت الادوار التي ينبغي أن يقوم بها الأفراد، ومن هنا نشأت مشكلة اكتشاف الأفراد الذين تتناسب معهم الأدوار والتخصصات المختلفة والتي يتطلبها المجتمع وذلك في ضوء الفكرة السائدة والتمثلة في وضع الفرد المناسب في المكان المناسب ومنها:

* التعرف على دور كل من العوامل الوراثية والبيئية في تشكيل مدى ما بين الأفراد من فروقات فردية

* توفير امكانية القياس والتشخيص والتقدير لمدى التجانس والاختلاف بين الأفراد

* مساعدة القائمين على العملية التعليمية في عملية التوجيه الاكاديمي والتربوي لكل متعلم تبعا لدرجة

استعداده

* مساعدة المعلم داخل حجرة الدراسة في التعرف على ما بين المتعلمين من فروقات فردية

* مساعدة القائمين على تخطيط وتصميم المناهج الدراسية لعمل برامج تربوية تتناسب وقدرات المتعلم

* مساعدة متخذي القرارات في التخطيط للقوى البشرية مهنيًا مما يساعد على اختيار الرجل المناسب في المكان المناسب

(شاكر عبد الحميد، 1998، ص 287)

7. أساليب مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين

إنَّ تحديد المُعلِّم للفروق الفردية للطلبة داخل الصفِّ، يُساعدُه على وَضْع أساليبٍ وطرقٍ تعليميةٍ تُناسب القُدَّرات والسمات الخاصَّة بالطالب؛ ممَّا يُساهم في رَفْع مُستواه؛ حيث أشارت بعض الدراسات والأبحاث إلى أنَّ وضع المُعلِّم للطرق العلمية التي تتناسب مع إمكانيَّات الطالب، نتيجة تحديد ومعرفة الفروق الفردية، أدَّى بشكل كبير إلى رَفْع المستوى العام للطلبة، وزيادة تحصيلهم العلميِّ (زاهر، ب.س، ص 148)

فالأفراد داخل الصف يختلفون في قُدَّراتهم ومواهبهم، ومن هنا يأتي دور المُعلِّم في التعامل مع كلِّ طالب بناءً على قُدَّراته وسماته الشخصية، وفيما يأتي نذكر كيفية التعامل مع الفئات المُختلفة للطلبة داخل الصف:

أ. الطالب الموهوب : تُعتبر فئة الطلبة الموهوبين ذات أهمية كبيرة في المُجتمع ، فهي التي ستساهم في الازدهار الحضاريِّ، والنقْدُم في مجالات الحياة جميعها؛ لذلك يجب على المُعلِّم مراعاة الإمكانيَّات العلمية والعملية لهذه الفئة، وعدم إهمال القُدَّرات العقلية لديهم، وفيما يأتي نذكر أهمَّ النصائح التي يُمكن أن يتبعها المُعلِّم للتعامل مع الطالب الموهوب :

* الاهتمام بالطالب، والتواصل مع ذويه؛ لشرح حالته، وتقديم النصائح لهم حول كيفية التعامل معه .

* وَضْع الطالب في بيئة تُمكنه من ممارسة أفعال تُنمِّي قُدَّراته العقلية: كألعاب الذكاء، وتمارين حلِّ

الألغاز

* توجيه الطالب لاتباع أساليب القراءة الفعّالة، واختيار الكُتُب ذات المحتوى العلمي، والفكري، والتي من شأنها أن تُنمّي قُدْرته العقلية، والفكرية .

- * تعويد الطالب على توقُّع حدوث الأشياء، بالاعتماد على المُعطيات، والتحليل المنطقي، والاستنتاج .
- * مساعدة الطالب على اكتشاف قُدْرته، وهويّته، وتعليمه على استخدام أساليب التفكير الموضوعي .
- * التفاعل العلمي مع الطالب من خلال التحدُّث معه في مواضيع علمية سواء في المنهج الدراسي أو في واقع حياته

* مساعدة الطالب على إبداء رأيه والتعبير عن مشاعره وإظهار الاهتمام والتقدير لها .

* الإجابة عن أسئلة الطالب جميعها سواءً كانت من داخل المادّة أو من خارجها، وإشباع فضوله ورغبته في التعلُّم . (يحي، 2006، ص 86)

* الاستمرارية في متابعة الطالب ووضع برامج خاصّة له

ب. **الطلبة ذوو الإشكالات:** تحتوي الصفوف في العادة على ثلاثة أنواع من الطلبة، وهي :

* طالب العلم: وهو الطالب الذي يذهب إلى المدرسة؛ بهدف التعلُّم

* الطالب المُحبّ للمرح: وهو الطالب الذي يتخذ المدرسة مكاناً لإضاعة الوقت واللعب

* الطالب المُكره: وهو الطالب الذي أُحْضِر إلى المدرسة عنوة ممّا يدفعه ذلك إلى إثارة المشاكل

والمتعاب في المدرسة . ويتمّ التعامل مع الإشكالات المُختلفة للطلبة والتي تُؤثّر على المُعلِّمين من خلال

استخدام ما يُسمّى بتطبيق الذكاءات المُتعدّدة بحيث يتمّ توجيه الطالب للتعلُّم باستخدام إحدى قُدْرته أو مهاراته

ج. **الطالب السلبي:** وهو الطالب الذي يشعر بنوع من الإحباط لدى قدومه إلى المدرسة،

ويتمّ التعامل مع هذه الفئة من خلال ما يأتي :

* تحديد سبب إحباط الطالب .

* اختبار كلّ طالب قبل بداية الدرس وذلك عن طريق وصف ما يرغب بتحقيقه وتطبيقه من الدرس .

* محاولة إشراك الطالب السلبي مع باقي طلاب الصفّ ضمن مبدأ التعلُّم التعاوني بهدف القضاء على

مواقفه السلبية

* تحديد المجالات التي يُفضّلها الطالب ومنحه أنشطة تتضمن هذه المجالات

د. الطالب المُشاكِس: ويتمّ التعامل مع هذه الفئة من قبل المُعلِّم أو المرّي من خلال ما يأتي :

- * ضَبْطُ الأعصاب والتعامل مع الطالب على أنّ تصرفاته لا تستهدف شخص المُعلِّم
- * محاولة ضَبْط النفس وعدم الانفعال من قِبَل المُعلِّم، وتَرْك الطالب يُعبّر عن مشاعره تجاه البيئة الدراسية

* التعاطف معه، ومنحه الاهتمام .

- * التفاعل مع الطالب وإشراكه باقتراح بعض الأساليب والأفكار في كَيْفِيَّة التعلُّم مع المواقف الصعبة .
- * الاستعانة بزملائه في الصفّ لمعرفة المشاعر السلبية لديه

هـ. الطالب الخجول: وهو الطالب الذي يُعاني من قلة الثقة بالنفس أو الشعور بالخوف من الإخفاق، أو من تعرُّضه للسخرية من باقي زملائه، ممّا يُؤثّر على مشاركته الاجتماعية، ويُمكن للمُعلِّم التعامل مع هذا النوع من الطلبة من خلال اتّباع ما يأتي :

- * الحذر من إشهار أخطائهم، أو تعريضهم للسخرية
- * إشراك الطالب بالدرس ومحاولة التركيز على جانب الكتابة بشكل أكبر
- * وَضْع الطالب ضمن مجموعة للتفاعل معهم وذلك بهدف كسر حاجز الخجل لديه
- * تَرْك التركيز عليه بالنظر
- * إعطاؤه الحرّية الكاملة للتعبير عن رأيه وعدم التعليق عليه
- * الاهتمام بلغة الجسد، ومحاولة الاستجابة إليها وذلك لمعرفة ما يرغب بمشاركته
- * وَضْع مسافة كافية بين المُعلِّم وبين الطالب أثناء إجابته عن سؤال مُعيّن لأنّ صوت الطالب غالباً ما يكون مُنخفضاً. (كوجك، 2001، ص 88)

علم النفس التكويني عند جون بياجيه

المحاضرة الخامسة: أسس وقوانين نظرية علم النفس التكويني

1. التعريف بجون بياجيه

ولد جون بياجيه سنة 1896 وتوفي سنة 1980 بسويسرا، كان مهتما بالحيوانات منذ الصغر، وقدم مقالة وعمره 11 سنة، في عام 1911 قدم دراسة حول الرخويات وعمره 17 سنة، في سنة 1918 تحصل على الدكتوراه في علم الحيوان، سافر الى فرنسا ودرس بجامعة سيمون وبينييه، ولاحظ أثناء دراسته أن الأطفال لهم تغيرات، لذلك اهتم بالذكاء، في سنة 1929 عاد الى سويسرا ودرس في معهد جون جاك روسو وشغل منصب أستاذ بعلم النفس التجريبي، وأستاذ علم النفس التكويني

من مؤلفاته: الفكر واللغة عند الطفل، الصورة الفكرية عند الطفل، تكوين الواقع عند الطفل، سيكولوجية الطفولة، 6 دراسات في علم النفس التكويني، قاموس علم النفس التكويني لجون بياجيه

2. عوامل النمو حسب نظرية جون بياجيه

1.2. النضج البيولوجي : هو العملية الفطرية التي تسمح للأجهزة أن تقوم بوظائفها، ونعني بالنضج

البيولوجي النضج في الجهاز العصبي المركزي، الجهاز العظمي، والجهاز العضلي

2.2. المحيط: ونعني به المحيط الاجتماعي (الأسرة بالدرجة الاولى) وما ياتي به من عناية وتلبية

الحاجات الأساسية للبقاء والنمو مثل الحاجات المادية (غذاء، لباس ، نظافة....) والحاجات الوجدانية

(حب، عناية، أمن، اهتمام..) هذه الأخيرة يعتبرها بياجيه كمخزن الطاقة الأساسية للتطور

3.2. التمرين: النضج البيولوجي لا يكفي من أجل نمو القدرات العقلية والمعرفية للطفل بل يجب وجود

تمرين واثارة وتحريض لأنها تطور الفكر، فمن خلال تفاعل الطفل مع الأشياء والأشخاص ينمي معرفته

بنفسه وبمحيطه

4.2. الموازنة: يتطور الفكر لدى الطفل من خلال عمليتي الاستيعاب والتوافق، لكن هذا لا يكفي بل يجب وجود عامل يوازن بينهما والذي يساعد الفرد على التكيف التدريجي مع المحيط من جهة، وعلى المحافظة على البقاء متوازنا من جهة اخرى. (ميموني، 2010، ص 55)

3. أسس النظرية

تعرف نظرية جون بياجيه باسم نظرية علم النفس التكويني والمقصود بها هو معرفة سيرورة تكوين الوظائف ومنها الذكاء والمعرفة، فحسب جون بياجيه يتكون الذكاء وفق مبدأين هما

1.3. البنائية:

وتعني أن الذكاء لا فطري ولا مكتسب ولا وراثي، ولا يتكون على أساس تخزين وتراكم المعارف لكنه يبني ، بمعنى أن كل معرفة تنظم وتدمج في المعارف السابقة، بمعنى أدق البناء يكون نتيجة التداخل بين ما هو مكتسب، فطري ووراثي، وهذا التداخل يؤدي بنا الى المبدأ الثاني وهو

2.3. التفاعلية:

ونعني به التفاعل بين الفرد ومحيطه على أساس عمليتي الاستيعاب والتوافق

أ. الاستيعاب Assimilation

ومعناه الأخذ من المحيط أو الأشياء أو الظاهرة معلومات بهدف تعريفه وتكوين صورة عليه ، هذه المعرفة تؤدي الى بثشير الفرد على الموضوع والأخذ منه خصائصه كي يفهمه.

ب. التوافق/ التطابق Accommodation

هو تكيف الفرد لسلوكه حسب ما استعابه (معرفته عن الشيء) وتوظيف المعلومات التي استعابها، فمثلا عندما يتعلم الصغير أن النار تحرق فانه يتجنبها (Debray, 2010 ; p119)

وعليه يمكن القول أن عمليتي الاستيعاب والتوافق متزامنتان ومتقاربتان وتؤديان الى التكيف مع المحيط

4. القوانين/ المعايير التي تسيّر مراحل النمو المعرفي

حدد جون بياجيه أربعة قوانين أساسية تتمثل فيما يلي

1.4. قانون التصاعد Hiérarchie

يسير النمو المعرفي عبر مراحل متصاعدة أي من المرحلة الأولى ثم الثانية فالثالثة والرابعة، ولا يمكن الوصول إلى المرحلة الثانية دون اجتياز الأولى وهكذا

2.4. التوطيد Consolidation

المعارف والمعلومات لا تظهر فجأة بل تظهر تدريجياً بطريقة غير محسوسة، بمعنى هناك فترة تحضيرية ثم تكميلية وهكذا

مثلاً تكوين مفهوم الموضوع يمر بمستويات تتمثل في مرحلة اللاتمايز (عدم وجود موضوع) ثم التمايز الجزئي (موضوع جزئي) ثم تمايز كلي (إدراك الموضوع ككل وبالتالي ديمومة الموضوع (Permanence de l'objet)

3.4. الدمج Intégration

المعارف الجديدة تدمج مع المعارف القديمة في بنية متطورة

4.4. البنية / التنظيم Structuration

هي العملية التي تسمح للبنىات العملية أن تبقى ثابتة، بمعنى أن لكل قدرة أو معرفة عقلية (بنية معرفية) لا تفقد وحدتها عند دمجها بالبنىات / المعارف الأخرى أو عند بقائها منفردة، فمثلاً التنسيق الحركي البصري (بنية القبض + بنية البصر) لا تفقدان وحدتهما عند دمجهما ويمكن أن تنفصلا دون أن تتأثرا أو تفقداهما أهمية هذا من جهة، ومن جهة أخرى المعارف القديمة لا تختفي ولا تمحى نهائياً بل تعوض بمعارف أخرى وتدمج مع معارف جديدة لتكون معارف أخرى أكثر تطوراً، مثلاً عملية الحبو تعوض بالمشي، لكن الحبو لا يختفي نهائياً (ميموني، 2010، ص 58)

5. ثوابت نمو الذكاء والمعرفة

تتكون المعرفة والذكاء وفق 5 ثوابت أساسية هي الاستيعاب، التوافق، التكيف، الاندماج، الموازنة، هذه الثوابت هي عمليات دائمة.

1.5. الاستيعاب

هي العملية التي يقوم بها الفرد لادراك المحيط، او هي ادماج الطفل لعناصر البيئة ضمن نشاطه، فهي العملية التي تمد الطفل بالعناصر الأساسية التي تنمي تنظيماته الحسية الحركية، النفسية والاجتماعية، لكن عملية الاستيعاب أو التمثل تعتمد على عملية المواءمة ، لأن استيعاب الطفل لعناصر البيئة لا يتم الا على أساس مواءمته لهذه العناصر

2.5. التوافق/ التلاؤم

تعرف على أنها التغيرات التي يفرضها المحيط على خطط الفرد حتى تصبح مكيفة ، كما تعرف أيضا على أنها تعديل الطفل لاستجاباته بما يتفق مع وجود هذه العناصر في البيئة اذا كان له أن يتمثلها أو يتعامل معها، فمثلا كي يلتقط الطفل شيئا ما أمامه فانه لابد له أن يعدل في وضع جسمه بالميل قليلا الى الأمام ومد يده لالتقاطه، وتحريك أصابعه في وضع معين يسمح له بال نقاط هذا الشيء، ولا بد أن تتواءم حركة الجسم واليدين مع حركة العينين أيضا، اذن فالمواءمة هي سلسلة من الحركات والتوافقات الحسية والحركية المتازرة لتحقيق سلوك ما (كفاي، 2008، ص 130)

3.5. التكيف

التكيف هو عملية دينامية وظيفية و مستمرة يهدف فيها الفرد بالأساس على تحقيق الانسجام بينه و بين نفسه أولاً ، ثم بينه و بين البيئة التي ينتمي اليها ، و يتحقق التكيف من خلال تغيير الفرد لسلوكه حسب المؤثرات المختلفة للوصول الى حالة من الاستقرار النفسي و الاجتماعي (فهيمى.1990: 59)

4.5. التنظيم / الموازنة

هي العملية التي تسمح بتلاؤم عملية التكيف وعملية التنظيم والتي تسمح بالمرور من مستوى تنظيم معين الى مستوى آخر أرقى ، وهي العملية التي تسمح بالتكيف مع المحيط وفي الوقت نفسه المحافظة على التوازن الداخلي.

وحسب بياجيه لا يتحدد النمو العقلي بالعوامل الوراثية وحدها أو بالعوامل البيئية وحدها، ولكن يحدث بناء على الأبنية التي تتكون من الجوانب المعرفية الجديدة، وتتكون من خلال ادراك الطفل وفهمه للمحيط ومحاولته حل المشكلات التي يواجهها ، وذا فشل في ذلك فانه يحاول اختراع تركيبات جديدة من الأساليب السلوكية التي يواجه بها هذه المشكلات ويكتسب بذلك تركيبية جديدة تكون أكثر ملاءمة من الأساليب القديمة تمكنه من التكيف وتتفق مع المشكلات الجديدة . (كفاي، 2008، ص 135)

المحاضرة السادسة : مراحل النمو المعرفي حسب جون بياجيه

يتطور النمو المعرفي حسب نظرية جون بياجيه وفق 3 مراحل كبرى تنقسم الى فترات فرعية وتتمثل فيما يلي

1. المرحلة الحسية الحركية تكون من الميلاد الى 24 شهر وتنقسم الى 6 فترات

2. مرحلة ما قبل العمليات والعمليات الواقعية تكون من 24 شهر الى 13 سنة وتنقسم الى فترتين هما

أ. مرحلة ما قبل العمليات الواقعية: 24 شهر الى 7 سنوات

ب. مرحلة العمليات الواقعية: 7 سنوات الى 13 سنة

3. مرحلة العمليات المجردة تكون من 13 سنة الى 20 سنة

1. المرحلة الحسية الحركية : الميلاد الى غاية 24 شهر

تمتد هذه المرحلة من الميلاد وحتى نهاية السنة الثانية (24 شهر)، وتمثل الصورة المبكرة للنشاط العقلي للرضيع، ويحدث التعلم بشكل رئيسي في هذه المرحلة عبر الحواس والمعالجات اليدوية، وهي عبارة عن أفعال انعكاسية فطرية لا ارادية ثم تتحول تدريجيا الى السلوك الارادي، بمعنى تركز هذه المرحلة على الحواس والحركة وخلالها يصل الطفل في الأخير الى:

* تنسيق البنات الحسية الحركية

* القيام بأفعال متناسقة

وتنقسم هذه المرحلة الى 6 فترات تتمثل فيما يلي

1.1 الفترة الأولى: تسمى فترة المنعكسات الفطرية وتكون من الميلاد الى شهر

يعمل الرضيع في هذه الفترة على أساس المنعكسات الفطرية (المص، العطس، التثاؤب، الصراخ...) بهدف الاتصال مع المحيط وبالأخص الاستجابة للوظيفة الغذائية، فالرضيع في الأشهر الأولى لا يميز بين ذاته والمحيط وعليه تعمل المنعكسات الفطرية على تهيئته للتكيف مع المحيط

(Rygaard, 2006, p 88)

2.1 الفترة الثانية: تسمى فترة العادات المكتسبة أو الاستجابات/ الحركات الدائرية الأولية وتكون من شهر الى 4 أشهر

في هذه الفترة يكون الرضيع مزودا بالمنعكسات الفطرية ويستعمل المص (مص الثدي) كمنعكس فطري ثم ينتقل الى مواضيع أخرى: كمص الابهام، الملابس، اللعبة... والتي يكون ادراكها صدفة ، كما نلاحظ في هذه الفترة بداية تنسيق الخطط السمعية والبصرية مثل الالتفات نحو الصوت

(Golse,2015, p 156)

3.1 الفترة الثالثة: تسمى فترة الحركات الدائرية الثانوية وتكون من 4 أشهر الى 9 أشهر

تعتبر هذه المرحلة حاسمة في النمو المعرفي لأنه يظهر فيها التنسيق بين البنيات وخاصة:

* تنسيق بصري حركي: مثلا القبض عند رؤية شيء ما، أي الطفل يصوب حركته نحو الشيء الذي يراه، وهذا يلعب دورا هاما في التطور الذاتي والتحكم في المحيط

* ظهور القصدية ومعناها الوصول الى نتيجة عن طريق الصدفة تؤدي بالطفل الى تكرار نفس العملية للحصول على نفس النتيجة وهذا يسمى بالحركات الدائرية الثانوية (يكتشف الطفل أن فعل شيء ما صدفة وتحصل على نتيجة ما فانه يكرر نفس الفعل للحصول على نفس النتيجة) مثلا هز الألعاب المعلقة فوق السرير صدفة أحدثت صوتا أعجب الطفل، نلاحظ أنه سيكرر نفس الفعل (هز اللعب) للحصول على الصوت الذي أعجبه، هذه النشاطات تعطي معرفة أوسع عن المواضيع من حيث شكلها، حجمها، تسمى هذه المرحلة بمرحلة التمايز أين يبدأ الطفل في تمييز الأشياء (Roger, 2004, p 32)

4.1. الفترة الرابعة : تسمى فترة ديمومة الموضوع وتكون من 9 أشهر الى 12 شهر

يحدث في هذه الفترة:

- تطور ثبات الموضوع (ديمومة الموضوع)
- يبحث عن الأشياء التي تخبئ له
- في المرحلة السابقة كان يبحث عن الأشياء المخفية قليلا (يظهر جزءا منه)
- تطور القصدية
- تنسيق الوسائل مع الأهداف (استعمال وسائل جديدة للحصول على وضعيات جديدة) مثل هز الخيط (وسيلة) حتى تسقط الألعاب المعلقة (أهداف) (Regaard, 2006, p 98)

5.1. الفترة الخامسة: وتسمى فترة الحركات الدائرية الثلاثية وتكون من 12 شهر الى 18 شهر

تتميز هذه الفترة بادراك الطفل للأشياء مما يجعله يكون علاقات ما بينها لذلك نلاحظه يستعمل الوسائل للحصول عليها مثل سلوك السند والعصا (مثل سحب غطاء الطاولة كي تسقط اللعبة، أو الوقوف فوق الكرسي للحصول على شيء ما فوق الطاولة) ، هذه الوسائل سماها بياجيه بالوسيط ويرى أن الطفل في هذه المرحلة يكون مستوى ذكائه مماثل لمستوى ذكاء القرد وهو ذكاء عملي تجريبي مرتبط بالحركة والتجربة لا على التصور (Roger, 2004, p 33)

تعتبر هذه الفترة أساسية لتطوير الذكاء وهي تدل على أن هناك:

- تكوين الموضوع واكتماله
- البحث عن الموضوع يعني أن الطفل طور ديمومة الموضوع
- تكوين المكان الذي يكون عملي كونه مرتبط بحركة ونشاط الطفل
- السببية: هناك علاقة بين الأشياء تدل على أن هناك حيز مكاني يربط الأشياء وهناك سبب للقيام بالفعل

يعتبر تكوين الموضوع، والمكان والسببية مفاهيم عملية وهي ثوابت معرفية (كفاي، 2008، ص 137)

6.1. الفترة السادسة: فترة بداية التصور وتكون من 18 شهر الى 24 شهر

تعتبر فترة نهاية المرحلة الحسية الحركية وبداية التصور مع تكوين ثبات الموضوع وتكوين العلاقة ما بين الاشياء وتتسم هذه المرحلة باختراع وسائل جديدة لا تعتمد على الحركة والحس بل عن طريق التصور مثل فتح علبة الكبريت، في البداية كان الطفل يضعها في فمه أو يضربها على الطاولة، ثم يفتحها صدفة، وفي هذه المرحلة يدفع صندوقها لفتح العلبة بدل تمزيقها، في هذه الحالة يقول بياجيه أن الطفل فهم وتصور فعله قبل القيام بالفعل ، بمعنى أكثر الطفل في هذه المرحلة قد كون صورة فكرية عن الأشخاص والأشياء، كما أن الموضوع أصبح ثابتا ، الى جانب ذلك أصبح الطفل قادرا على التنسيق الحسي الحركي وكذا القيام بحركات متناسقة (اكتمال الخطط الحسية والحركية)

كما أن ادراكه للزمن والمكان والسببية فهو عملي مرتبط بالافعال والنشاطات وتساعد الطفل على تنظيم المحيط والتحكم فيه. (Piage,1980 ;p80)

2. المرحلة الثانية: مرحلة ما قبل العمليات والعمليات الواقعية

قسمها بياجيه الى فترتين

1.2. فترة ما قبل العمليات الواقعية تكون من 24 شهر الى 7 سنوات

ما يجعل هذه الفترة تختلف عن المرحلة السابقة هو أنه كان كل شيء عملي، أما في هذه المرحلة فنلاحظ:

- تطور الفكر الذي كان على أساس الحركة وأصبح على أساس التصور (تطور الصورة الفكرية للأشياء والأشخاص)

- تطور اللغة بسرعة كبيرة تسمح له بالتواصل مع المحيط والتعبير الوجداني والدقيق عن حاجاته، هذا يفتح له المجال للتعرف على نفسه ومحيطه

تطور الصورة الفكرية واللغة تسمح له بالدخول في الرمزية بمعنى أن هناك علامة ومعنى تبدي شيء غائب بصورة فكرة أو علامة (استعمال فكرة والتعبير عنها بأشياء تنوب عنها) مثل طفل يريد الجبن أو الحليب يعبر عنه بكلمة ماج ، حيب أو يعبر بالإشارة

- التقليد المؤجل: نرى أن الطفل يقوم بأفعال حركية حدثت من قبل، نفهم من هذا أن الطفل كون صورة فكرية عن الفعل لأنه خزنها في ذاكرته واستعملها بعد عدة ايام، شهور مثل تقليد الطفل لجدّه أو اصدقائه في الروضة

- اللعب الرمزي: نرى أن الطفل في هذه الفترة يمسك دولابا ويتظاهر أنه يقود سيارة مثلا أو يجلس فوق عصا ويعتبرها حصانا.

ملاحظة: الصورة الفكرية + اللغة + التقليد المؤجل + اللعب الرمزي تعتبر مكونات الوظيفة الرمزية La fonction symbolique وهي أساس الفكر، وهذا الفكر ليس منطقي بل حدسي لأنه مرتبط بالاحساس والادراك، ويعتبره بياجيه فكر متمركز حول الذات، لأن الطفل لم يدرك ذاته كليا عن الأشياء لذلك يسقط عليها مشاعره واحاسيس ه (Roger, 2004, p86)

مثال: عند سقوط الطفل يبكي لكن بمجرد أن تضرب الأم الأرض فانه يسكت

وعليه يمكن القول في هذه المرحلة أن فكر/ ذكاء الطفل حدسي وسحري (حبيس الحواس)، ويتسم تصور الطفل للعالم وللأشياء بثلاث خصائص:

أ. الاحيائية: Animisme

نلاحظ أن الطفل في هذه المرحلة يسقط مشاعره ومعاشه النفسي والاجتماعي على الأشياء وخصوصا اللعب، لذلك نراه يضيف الحياة عليها مثلا اللعبة تبكي، تضحك، تجوع، تنام...

ب. الاصطناعية Artificialisme

في هذه الفترة يعتقد الطفل أن الراشد هو من يحرك ويتحكم في الكون، مثال: هذه الشجرة زرعها أبي، هذه البناية بناها أبي، أبي هو الاقوى....

ج. الواقعية Réalisme

في هذه الفترة لا يفرق الطفل بين الواقع والخيال، ويعطي وجودا حقيقيا لأحلامه، فمثلا عندما يستيقظ من حلم مزعج أخافه فانه يطلب من أمه أن تبحث أو تضرب الشيء الذي أخافه

لكن عند بلوغ الطفل 5 الى 7 سنوات تنخفض أهمية الاحيائية والاصطتاعية والواقعية، بمعنى تتغير نظرة الطفل للعالم وتقترب نوعا ما الى المنطق (ميموني، 2010، ص 48)

تتميز هذه المرحلة بأن الطفل يرى في الموضوع خاصية واحدة فقط، فمن خلال التجربة التي أجراها بياجيه على ابنته حيث قام باحضار 3 كؤوس مختلفة الأحجام وأفرغ فيها نفس الكمية من الماء وعندما عرضها على الطفلة اختارت الكاس الطويلة باعتبارها المملوءة أكثر (كفاي، 2008، ص 137)

كما نلاحظ أن الطفل في هذه المرحلة يتطور لديه مفهوم الزمن والمكان لكنه مازال عملي أين يستطيع التكلم عن الماضي والمستقبل لكن دون التحكم في المفهوم بل مرتبط بنشاطاته (الصباح عند شرب القهوة، الليل عند الخلود الى النوم) ، كما يتطور لديه السببية مع ظهور كلمة " لماذا" التي يكررها الطفل باستمرار وفي كل الظروف (4/3 سنوات). (حجازي، 2004، ص114)

2.2. فترة العمليات الواقعية 7 سنوات الى 13 سنة

في هذه الفترة ينمو الجانب الاجتماعي لدى الطفل وذلك بدخوله الى المدرسة، كما أنه ينمو من الناحية البيولوجية والعصبية مما يسمح له بالتركيز الفكري والانتباه والانضباط لمدة طويلة

أما من الناحية المعرفية فنلاحظ أن الفكر لازال مرتبطا بالواقع، بمعنى الاعتماد على الحواس والتغيرات التي تطرأ على الاشياء ، حيث نلاحظ أن الطفل يكتسب بعض الثوابت الأساسية للمعرفة وهي ثبات المادة، الحجم، الوزن بمعنى اذا أضفنا أو انقصنا شيء في المادة فانها تبقى على حالها مهما تغير حجمها حيث:

* يكتسب الطفل ثبات المادة وعمره 8/7 سنوات

* يكتسب الطفل ثبات الوزن وعمره 10 سنوات

* يكتسب الطفل ثبات الحجم وعمره 12/11 سنة

* الانعكاسية والتي تعني القدرة على الرجوع الى نقطة الانطلاق وتكون في سن 7 سنوات تقريبا

مثال: عجينة مسطحة أو طويلة يمكن ارجاعها كما كانت على شكل كرة

* ثبات الاعداد: يصبح الطفل قادرا على ترتيب الأعداد من الأصغر الى الأكبر، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يدرك أنه بين كل عدد قطعة واحدة فقط وهذا النظام لا يتغير

* التصنيف والترتيب: في الفترة السابقة كان يدرك الطفل الشيء من خاصية واحدة فقط بمعنى أنه لا يدرك الجزء من الكل، لكم في هذه الفترة يصبح قادرا على ادماج الجزء في الكل بالترتيب

(Golse,2015, p 159)

مثال: لدينا مجموعة الأشكال (مربعات، دوائر، مثلثات، مستطيلات) مختلفة الألوان والأحجام ، في المرحلة السابقة نطلب من الطفل دوائر خضراء فانه لا يدرك الجزء (الدائرة) من الكل (مجموعة خضراء) ويعطينا كل الأشكال ذات اللون الأخضر، لكن في هذه الفترة بإمكانه ادراك الجزء من الكل وبالتالي ينجح في تصنيف المجموعات التي نحددها له بمعنى يصبح الطفل في هذه الفترة قادرا على ادراك الاشياء من خصائصها المختلفة (لون، حجم، شكل)

* دخول الطفل الى المدرسة يسمح له بتوسيع دائرته الاجتماعية والخروج من حالة التمرکز حول الذات وذلك من خلال الانتماء الى جماعات اجتماعية تختلف عن المحيط الأسري و تضم المعلمين، الزملاء، أولياء زملائه ، هذا التوسع في شبكة العلاقات الاجتماعية تسمح له باكتساب عادات وتقاليد المجتمع، احترام الآخرين واحترام ممتلكاتهم ، التعاون وضبط الانفعالات بدل الشجار والصراخ، اخضاع كل المكتسبات المعرفية التي تلقاها في الأسرة الى قواعد وقوانين (اللغة، اللعب، الانضباط، الانتباه لمدة طويلة) (ميموني، 2010، 77)

3. مرحلة العمليات المجردة 13 سنة الى 20 سنة

نلاحظ في هذه المرحلة ما يلي

- تطور الفكر من عملي الى حدسي فواقعي وفي هذه المرحلة أصبح مجردا يرتكز على أساس اللغة والرموز المجردة (مثل ادراك المفاهيم المجردة كالدالة، السلام ، الموت، الله، المعادلة...)
- خروج اللغة والفكر من التمرکز
- الارتكاز على الفرضيات والبحث عن المجاهيل والاستدلال (المنطق)

- تطور مفهوم ي الزمن والمكان بعدما كان عملي في المرحلة الاولى الحسية الحركية ليتوسع مجاله المعرفي في المرحلة الثانية (معرفة الحي، المدينة، القارة) أصبح في هذه المرحلة لا محدود وغير مرتبط بالواقع وتصوراتهِ (الكواكب، المجرة..). (Roger, 2004, p92)

- أصبح يكون ويطور النظريات بعدما كان يستقبلها من الغير، أصبح يدمج الاشياء ويجرب للحصول على نتائج جديدة بعدة طرق

- التوفيقية: أصبح الفرد بدلا من أن يكتفي بتنظيم مباشر للمعطيات المدركة في هذه المرحلة يصبح قادرا على بناء معطيات المسألة والعملية على أساس معطيات افتراضية تتناسب والمسألة، اذ اصبح يستبصر ويراعي كل التوفيقات (الاحتمالات) المحتملة

- ادراك الزمن والمكان والتوفيقية تعتبر من الثوابت المعرفية في هذه المرحلة

(كفافي، 2008، ص 138)

ايجابيات النظرية

* ساهمت في تطوير علم النفس العام، علم النفس التكويني، علم النفس الطفل والمراهق واستفادت منها خصوصا علوم التربية

* ساهمت في تطوير البيولوجيا والفيزيولوجيا العصبية، وعلم الاعصاب بفضل نظرية بياجيه التي انطلقت من البيولوجي لتفسير نمو المعرفة والذكاء والمنطق

* ساهمت النظرية في تطور ما يسمى بالعلوم المعرفية التي تجمع عددا من التخصصات كعلم النفس، الفلسفة، اللسانيات، علم الاعصاب والتي تهدف الى دراسة وفهم العمليات العصبية للمعرفة كالذاكرة، الاستدلال، الذكاء، اللغة والادراك

* ساهمت في فهم قدرات الطفل وطرق استيعابه وتعامله

نقد النظرية

- * الارتكاز على جانب واحد من جوانب النمو وهو الجانب المعرفي واهمال الجوانب الأخرى وخاصة الجانب النفسي بالرغم من اعتباره أن الوجدان والانفعال عامل مهم في نمو وتطور الذكاء
- * لم يراعي بياجيه الفروق الفردية في تطور الذكاء والمعرفة بل قدم مراحل محددة من حيث السن الذي يكون فيه الفرد
- * بالرغم من النتائج التي حققتها النظرية الا أنه لا يمكن تعميمها لأنها تمت على دراسة حالات معدودة (أبنائه وبعض أطفال سويسرا) بمعنى أن نظريته لا تنطبق على الثقافات الأخرى، لكن الدراسات الحديثة على الأطفال أثبتت على العموم أن نمو الذكاء والمعرفة يمر وينمو وفق المراحل التي حددها بياجيه لكن الاختلاف يكمن فقط في ايقاع النمو (سريع أو بطيء) حسب الخصائص التربوية والبيئية والاجتماعية المحيطة بالفرد
- * ترى الدراسات الحديثة أن المرور الى مرحلة العمليات المجردة لا يعني اكتمال الذكاء، إذ أنه وبالرغم من نضج الكثير من الأفراد الا أن تطورهم المعرفي لا يبلغ هذا المستوى من التجريد الا جزئيا
- * تعتبر نظرية صعبة نظرا لارتكازها على الرياضيات والبيولوجيا والمنطق (حقي، 2001، ص 98)

نظرية الشخصية عند هنري فالون

المحاضرة السابعة : أسس وقوانين نظرية الشخصية عند هنري فالون

1. تعريف هنري فالون H.Wallon

هنري فالون أخصائي نفسي وطبيب عقلي وفيلسوف فرنسي، ولد سنة 1879 وتوفي سنة 1962 بفرنسا، في سنة 1908 قدم دراسة حول الهذيان الاضطهادية ، وفي الحرب العالمية الأولى شغل منصب طبيب بالجيش الفرنسي وقام بدراسات عديدة على الصدمات الدماغية، وفي سنة 1926/1925 أسس مخبر علم النفس البيولوجي وشغل منصب أستاذ بجامعة السوربون بفرنسا، نشر الجزء الثامن للموسوعة الفرنسية المخصصة للحياة العملية من الطفولة الى الشيخوخة سنة 1938، في الفترة 1950/1945 أدخل علم النفس في المدرسة والتكوين المتواصل للمعلمين

من مؤلفاته: مبادئ علم النفس التطبيقي 1938، أصول الطبع عند الطفل، من الفعل الى الفكر، أصول الفكر عند الطفل

2. أسس النظرية:

تقوم نظرية هنري فالون على اعتبار الكائن البشري ينمو من خلال تفاعل الحاجات البيولوجية والمتطلبات الاجتماعية، والكائن البشري مكون من ثنائية جسم ونفس يشكلان وحدة متكاملة (بموقفه هذا تجاوز النظريات القدية الرامية الى الفصل بين الجسم والنفس)، زد على ذلك فهو يعتبر أن الفرد ينمو ويتكون من جميع الجوانب بصورة تدريجية (نمو كمي ونوعي) والذي يختلف من فرد لآخر، باختصار تقوم نظريته على اعتبار الشخصية تلك الوحدة البيولوجية، النفسية والاجتماعية

نفهم من هذا أن فالون من خلال نظريته قد ساهم في فهم ومعرفة الطفل والمراهق وبالتالي العمل على تشخيص وعلاج بعض اضطرابات الطفل ، كما ساهمت نظريته في تطوير علم النفس وعلوم التربية

3. مفاهيم النظرية

1.3. الانفعال Emotion

هو حالة نفسية ذات شحنة وجدانية قوية مصحوبة بتغيرات فيسيولوجية خاضعة للجهاز العصبي اللارادي وبحركات تعبيرية كثيرا ما تكون عنيفة، وينشأ الانفعال عادة عن اعاقاة فجائية لرغبات قوية كما في الغضب والخوف، أو عن ارضاء غير متوقع لهذه الرغبات كما في الفرح، وحسب التحليل النفسي يعرف الانفعال على أنه التعبير الديناميكي عن الغرائز، ويعتبره فالون أساس العلاقة مع العالم الخارجي لان الطفل في المراحل الاولى من نموه يكون هو وسيلة الاتصال بينه وبين العالم الخارجي، لذلك الانفعال مهم جدا بالنسبة لفالون. (Roger, 2004, p 47)

2.3. الحركة Mouvement

هو انتقال جسم ما أو نقطة مادية من مكان لآخر في زمن معين، يرى فالون أن المحيط يعطي معنى لهذه الحركة والانفعال (التظاهرات الانفعالية عن طريق الحركة)

3.3. التقليد Imitation

هناك ثلاث مستويات من التقليد:

* تقليد فيزيولوجي: مثلا اذا أخرجنا لصغير لساننا فانه يقلدنا لكن دون وعي بالفعل

* تقليد نموذج أمامه: لأن يكرر الطفل الكلمات أو السلوكيات (بتقليد مباشر)، هذا التقليد ليس للاتصال بل لاستيعاب حركات وسلوكيات الآخرين، نفهم من هذا أن الطفل يبدأ يتميز بتقليد الآخرين (لا يقلد الغائب بل يقلد من هم أمامه)

* التقليد المؤجل: وهو القيام بفعل قام به شخص آخر في الماضي ويعيده الطفل على أساس الصورة الفكرية التي أسسها، بمعنى أنه مر الى الفكر (التصور) أي مر من الحركة الى الفكر

(ميموني، 2010، ص 125)

4. قوانين / معايير النظرية

تقوم مراحل نمو الشخصية على أربعة معايير وقوانين تسيروها وتخضع لها وهي حسب تقسيم فالون ما يلي

1.4. التصاعد : سبقت الاشارة اليه في نظرية جون بياجيه

2.4. معيار / قانون التفوق الوظيفي

يمر نمو الشخصية بمجموعة من المراحل تسمح للفرد بتحقيق مجموعة من الوظائف، لكن خلال كل مرحلة نلاحظ طغيان وظهور وظيفة معينة (الوظيفة تنمو وتبرز بوضوح)، لكن في المرحلة الموالية نلاحظ أن الوظيفة السابقة تقل أهميتها لتترك المجال لبروز وظيفة أخرى، هذه العملية أطلق عليها فالون اسم قانون التفوق الوظيفي

فمثلا يكون الطفل في بداية حياته اتكاليا على المحيط في التغذية والرعاية (تسمى هذه الوظيفة بالانباتية) ثم يبدأ في تمييز محيطه شيئا فشيئا ويتفاعل معه من خلال المشاركة الوجدانية والتقليد (تسمى هذه الوظيفة بالانفعالية)، ثم يفرق بين ذاته والآخر ليصل في النهاية الى الاستقلالية الذاتية وبالتالي المعرفة الموضوعية لذاته ولمحيطه، نلاحظ أن الطفل من خلال مروره بمراحل النمو تبرز وظيفة ثم تزول لتعوضها وظيفة أخرى، لكن ما يجب الاشارة اليه أن ظهور وظيفة مكان اخرى لا يعني وجود هذه الوظيفة فقط بل يعني أن الوظيفة الجديدة هي التي تبرز أكثر وتعطي للمرحلة وللشخصية طابعها الخاص، بمعنى في كل مرحلة تظهر مجموعة من الوظائف، لكن توجد وظيفة تبرز أكثر وتتفوق على بقية الوظائف، وفي المرحلة الموالية يقل دورها لتترك المجال لوظيفة أخرى بالظهور والبروز أكثر

3.4. معيار/ قانون التناوب الوظيفي:

يمر الطفل أثناء نموه بمجموعة من المراحل تميزها ظهور مجموعة من الوظائف تسمح له بتطوير امكانياته الداخلية من جهة، وبتطوير علاقاته مع المحيط من جهة أخرى، وعليه يمكن القول أن الطفل في كل مرحلة من مراحل نموه يكون لديه تطور عقلي وسلوكي، فمثلا نلاحظ أن الطفل خلال مراحل نموه أظهر وظائف عديدة تتمثل في الوظيفة الانباتية، الوظيفة النفسية (الانفعالية)، الوظيفة الحركية، الوظيفة اللغوية، هذه الوظائف تساعده على تطوير امكانياته الداخلية (توفير الغذاء، الرعاية، الثقة في النفس،

التعبير عن الحاجات، الاستقلالية الحركية..) هذا من جهة، وتطوير علاقاته مع المحيط (الاتصال من خلال الانفعال (صراخ، بكاء..)، اللغة، الحركة)

4.4. معيار/ قانون التكامل والدمج الوظيفي

المرور من مرحلة نمو الى أخرى يعني أن كل وظيفة جديدة تضاف وتدمج مع الوظائف السابقة

(محمد اسماعيل، 1998، 189)

المحاضرة الثامنة: مراحل نمو الشخصية

يرى بياجيه أن النمو متواصل ومتسلسل بطريقة تدريجية لا محسوسة، لكن فالون يعتبره منقطع تتخلله صراعات وأزمات (أزمة 3 سنوات، أزمة المراهقة) ناتجة عن التضج البيولوجي والتفاعل مع المحيط ويؤثر على سلوك الطفل وتوازنه وهي أساسية في النمو

يقسم فالون مراحل نمو الشخصية الى 7 مراحل تتمثل فيما يلي

1. المرحلة الجنينية

2. مرحلة الاندفاع/ النزوق : الميلاد الى 3/2 أشهر

3. مرحلة الانفعال : 3/2 أشهر وتبلغ قمته في 6 أشهر وتنتهي مع نهاية السنة الاولى

4. المرحلة الحسركية الاسقاطية 2 سنوات الى 3 سنوات

5. المرحلة التشخصية أو الشخصانية: 3 الى 7/6 سنوات

6. مرحلة التصنيف: 7/6 سنوات الى 13/12 سنة

7. مرحلة البلوغ والمراهقة 13/12 سنة الى 18 سنة

1. المرحلة الجنينية

اعتبرها فالون مرحلة مهمة ، فهو يرى أن الطفل في هذه المرحلة يعيش تبعية بيولوجية تامة و أي شيء يحدث له في المحيط الجنيني يؤثر عليه مستقبلا مثل الصبغيات، غذاء الأم، أمراضها، انفعالاتها.

2. مرحلة الاندفاع / النزوق يكون من الميلاد الى 3/2 اشهر

تتميز هذه المرحلة بطغيان الحركات العشوائية وغير المنظمة، وهي مرحلة يتصرف فيها الطفل بشمولية، فهي مرحلة بسيطة بيولوجية محضة وسلوكات بسيطة كالرضاعة، المص، تفرغ حركي (فوضى سلوكية، انقباض العضلات وتصلبها، صراخ، بكاء...)، وتدرجيا يتكيف سلوكه مع المحيط والمثيرات الخارجية وتأخذ معنى بالنسبة للمحيط الذي يستجيب لها وتظهر حركات معبرة مثل الابتسامة (3/2 اشهر) وهذا ما يدخله في المرحلة الموالية (Roger, 2004, p 25)

3. مرحلة الانفعال 3/2 اشهر تبلغ قممها في 6 اشهر وتنتهي مع نهاية السنة الاولى

تظهر حركات معبرة مثل الابتسامة (3/2 اشهر) وحركات الوجه التي يرسل من خلالها اشارات معبرة (حزن، ألم، فرح، انزعاج، غضب...) مما يجعل الأم تكيف استجاباتها وسلوكها حسب هذه الاشارات وتصبح انفعالات الرضيع وسيلة اتصال، تفاعل وتعامل مع المحيط (Roger, 004, p 28)

تتأسس هذه المرحلة على الحركات والعضلات وعلى الحضرية Tonus والمقصود بها الضغط الموجود في العضلات والذي يعبر عنه بطريقة واضحة من خلال الانفعالات، نفهم من هذا أن أساس هذه المرحلة أو منبع الانفعالات هو الحضرية، فالطفل يكون في علاقة تكافلية مع أمه تكون بنية على أساس اتصال وحوار غير مباشر لا محسوس بالنسبة للملاحظ لكنه محسوس بالنسبة للطفل يسمى بحوار الحضرية والمقصود به أنه من خلال تعبيرات جسم الأم (انقباضات أو تقلص عضلاتها نتيجة حالاتها الانفعالية) فان الطفل يحس باضطراب الأم (حالاتها الانفعالية) ويمتص كل انفعالاتها فيحدث له انفجار انفعالي للتقليل من حدة أو افراط الضغط المتواجد في العضلات، وهنا يلعب المحيط الاجتماعي دورا هاما لانه بواسطة النشاط الاجتماعي الموجه يساعد الطفل على صرف هذه الطاقة

(ميموني، 2010، ص124)

تعتبر هذه المرحلة مهمة بالنسبة للطفل لأنها تساعد على الوعي بذاته وتحضره للغة والاتصال من خلال التفاعل بين الأم وطفلها بهدف اخراجه وتوجيه اهتمامه الى العالم الخارجي حتى يخرج من حالة التمرکز حول الذات (Egocentrisme (piaget)/ Syncrétisme (wallon)

4. المرحلة الحسية الحركية الاسقاطية 2-3 سنوات

تعتبر هذه المرحلة قفزة نوعية في نمو الشخصية وذلك بفضل تطور وظيفتي اللغة والمشي اللتان تساعدان الطفل على تحقيق الاستقلالية، ما نلاحظه في هذه المرحلة أن الطفل يتوجه نشاطه الى اكتشاف المحيط (تطوير الوظيفة العلائقية) بعدما كان نشاطه موجها الى الداخل (التمركز حول الذات) وذلك من خلال تسمية الاشياء والتكرار بهدف اكتشاف الاشياء وتنسيق الحواس مع الحركة و أسلوب السند والعصا (حركات دائرية ثانوية)، بالاضافة الى ديمومة الموضوع، واكتشاف والتعرف على الاشياء من خلال اللمس، الضرب، الجمع والمقارنة

يعتبر فالون أن الطفل في هذه المرحلة يكون لديه ذكاء الظروف والذي اطلق عليه بياجيه بالذكاء العملي، الى جانب ذلك يتطور وعي الطفل بذاته (بجسمه) وبالاخرين وبقدراته بفضل اللعب (لعب بالأيدي، تحريك الأصابع، لمس الاشياء وتحريكها، ألعاب التعلم كألعاب البناء، جمع وتفكيك اللعب) هذا من جهة، وبفضل التقليد الذي كان في الأشهر الأولى فيزيولوجيا، ما في هذه المرحلة فهو مباشر والذي يساعده على معرفة ذاته وغيره، كما يحضره الى تكوين الفكر (المرور من الحركة الى الفكر)

زد على ذلك نلاحظ أن الطفل يعبر بالكلمة وبالفعل بمعنى يسقط الحركة والفعل على الكلمات حتى يعطي لقوله وللأشياء وجود (يدعم الكلام بالحركة) وهذا ما يجعل هذه المرحلة تسمى بالحس حركية اسقاطية (ميموني، 2010، ص 126)

5. المرحلة الشخصية 3-7/6 سنوات

يعتبرها فالون مرحلة مهمة جدا في بناء الشخصية وتطورها وهذا بفضل تطور الوظيفة الرمزية، يقسمها فالون الى 3 فترات تتمثل فيما يلي

1.5. فترة المعارضة تكون في 3 سنوات: تعتبر فترة مهمة جدا في بناء الشخصية ويعتبرها فالون أنها فترة أزمة لأن الطفل هنا يعارض كل واحد وكل شيء خصوصا في الأكل واللباس بهدف فرض قدراته ومعاينتها أمام الكبير، فرض الذات، فرض الوجود، تطور الأنا في استعمال ضمير أنا ، لي

تعتبر هذه الفترة مهمة في تكوين الشخصية وتحقيق الاستقلالية

2.5. فترة النرجسية تكون في 4 سنوات : يعتبرها فالون فترة توازن ، يبحث من خلالها الطفل عن اعجاب الكبير بهدف ارضاء ذاته وتتجلى من خلال الاهتمام بالزينة، ارتداء ملابس وأحذية الكبار، وهي فترة يجب أن يكون فيها هو الأجل، الأذكي ...

تعتبر هذه الفترة مكملة لنمو الذات وتكوين صورة الذات والهوية

3.5. فترة التقليد وسلب مزايا الغير تكون في 5 سنوات

في هذه الفترة نلاحظ أن الطفل يقلد الاشخاص المحبوبين له والذين يغار منهم ، فهي فترة ي أخذ منها عملية التقمص بهدف بناء الشخصية، وفترة سلب مزايا الغير وسماته وهذا ب أخذ دوره من خلال التقليد بهدف اقصاءه (يقلد حركات وسلوكات الاشخاص الذين يغار منهم) (ميموني، 2010، ص 128) يرى فالون أن الطفل في هذه المرحلة يكون متمركزا حول ذاته لأنه لا يضع الحدود بين ذاته وبين العالم الخارجي، وتدرجيا وبتوالي المراحل يخرج تدريجيا من التمرکز وبتأسس أكثر فأكثر، وكلما زاد وعيه بذاته وبالعالم الخارجي أخذ بعدا وهذا ما يسمح له بالانفتاح على العالم الخارجي ويدخل في مرحلة العلاقات الاجتماعية والاهتمام بالعالم الخارجي . (Roger, 2004, p 90)

6. المرحلة التصنيفية 7/6 سنوات الى 13/12 سنة

تتزامن هذه المرحلة ودخول الطفل الى المدرسة الذي يسمح له بتوسيع دائرته الاجتماعية والدخول في الجماعة (جماعة الأقران) التي تفرض عليه أن يتقمص كل أفراد الجماعة من جهة، وأن يأخذ مكانة ودورا بينهم من جهة أخرى، وهذا يسمح له بادراك ذاته ككل خاص به هذا من الناحية الاجتماعية.

(Wallon, 1976 ; p 66)

أما من الناحية المعرفية فيسعى الطفل من خلال نشاطه المعرفي الى توسيع التصنيفات من خلال التعرف الدقيق على صفات الاشياء و المواضيع ومقارنته وتجميعها في أصناف ومجموعات حسب الخصائص المشتركة وهذا بفضل النضج العصبي، وتكوين العلاقات الاجتماعية المتنوعة التي تسمح له بضبط فكره وتطوير الانتباه لمدة طويلة وبمحض ارادته، مما يفتح له المجال للتعلم المدرسي وتطوير اللغة أكثر، بالإضافة الى نمو قدراته المعرفية على المقارنة والتحليل، وكذا تطور المعارف والمكتسبات المعرفية (اكتساب الثوابت المعرفية التي سبق وتم الإشارة إليها في نظرية جون بياجيه والمتمثلة في: ثبات المادة،

الوزن، الحجم، المكان، الزمن، المعكوسية، السببية ، ادراك الجزء من الكل) وبالتالي يصبح فكر الطفل من عملي الى منطقي ويبدأ في التجريد

تتزامن هذه المرحلة مع مرحلة العمليات الواقعية حسب نظرية جون بياجيه، وتعتبر مرحلة منظمة للنشاط الاجتماعي، المعرفي والنفسي (Roger, 2004, p 93)

7. مرحلة البلوغ والمراهقة

المراهقة هي فترة زمنية يمر بها الفرد في حياته أين ينمو فيها نموا جسديا وعقليا وانفعاليا واجتماعيا ونفسيا، وفيها تتغير وظائف كل جهاز من أجهزة الجسم بدرجات متفاوتة في النسب، غير أن أهم تغير يحدث فيها هو التغيرات الفيزيولوجية والبلوغ الجنسي، وهو بذلك يعتبر نقطة تحول وعلامة انتقال من الطفولة الى مرحلة الرشد (الوافي، 2004، ص 49)

يعتبرها فالون مرحلة مهمة في حياة الفرد ففيها يتم:

* حصول تغيرات فيزيولوجية وبيولوجية وجسمية هامة تطرا على الفرد، اين يصبح الجسم محل اهتمام وتطور وظيفة الجنس من جهة، وظهور مخاوف حسب ما يقدمه المجتمع من مكانة للجنس وتثمينه لهذه التطورات واعتبارها عادية من جهة اخرى

* تعتبر مرحلة نرجسية من خلال الاهتمام بالجسم واناقتة ونظافته والمظهر الحسن مما يسمح بتكوين الهوية، الثقة بالذات واثبات الوجود

* التغيرات الفيزيولوجية والجسمية لها تاثير بصورة ايجابية على صورة الجسم وتخطيط الجسم، مما يؤدي الى تكوين هوية نفسية وتطورها (تقبل المراهق للتغيرات الجسمية والالتمام بالجسم وعدم الخجل منه)، او تؤثر بصورة سلبية مما يؤدي الى ظهور مخاوف اضطراب الجسم *Dysmorphophobia* تنتج عنها اضطرابات كالشرهة ، فقدان الشهية

* التغيرات التي تطرا على الفرد تكون تحت تاثير نضج عصبي مما يجعلها مبرمجة بيولوجيا، وهذا يؤثر على هيئة الجسم من الناحية الفيزيولوجية والبيولوجية، وظهور سمات الجنس التي تعطي هوية بيولوجية ونفسية واجتماعية هذه الاخيرة يفرضها المجتمع بقيمه وقوانينه اين يفرض على المراهق لعب ادوار واسعة ومختلفة (طالب،لاعب، ابن...) هذا من جهة، ومن جهة اخرى يحضره للقيام بادوار اخرى (

زوج- اب، زوجة- ام) ولا يتعدى كل واحد حدوده مما يسمح له بتوسيع الشخصية التي سماها فالون
بالشخصية المتنوعة والمتعددة

تعدد الادوار التي يلعبها المراهق تؤهله الى استعمال فكر واسع (مجرد) لا يرتكز على الواقع الملموس
بل يرتكز على الاحتمالات (فرضيات ورموز)

* التغيرات البيولوجية والجسمية ينتج عنها اضطراب في التوازن الجسمي والحركي والذي يتمثل في
الاصطدام بالاثاث، عدم التوازن في المشي، اسقاط الاشياء بعد التقاطها، وكذلك اضطراب في التوازن
النفسي والذي يتجلى في التناقض الوجداني والذي يظهر تارة خجل وانسحاب ، ومن جهة اخرى يظهر
جراة وحب المغامرة، انطواء او رغبة في تكوين علاقات وصدقات عديدة، انانية وتفاني في العطاء،
الرغبة في الاستقلالية والخوف منها والرغبة في التبعية

كما ينتج عنها اضطراب في التوازن الاجتماعي والذي يتجلى في التناقض الاجتماعي، فالمراهق في
ظل اسرة متسلطة او مفرطة في الحماية يعيش في صراع بين اعتباره كبيرا او صغيرا لذلك تعتبر مرحلة
معارضة وتمرد ضد نظام السلطة بهدف فرض الوجود وتحقيق الاستقلالية مما يخلق لديه صراعات مع
السلطة (الوالدين، المعلمين..)، لذلك اعتبرها فالون كمرحلة ازمة لكن صراعات وتمرد المراهق تعتبر
اساسية في تكوين الهوية، كما وتتميز هذه المرحلة بتطور الفردنة والهوية الذاتية والاجتماعية، وكذلك
تطور الشعور بالانتماء الى جماعة الرفاق او عدم الانتماء

اما من الناحية المعرفية فتعتبر مرحلة البحث عن اسباب الاشياء ومعنى وجودها، حيث تاطور لديه
المفاهيم الاساسية للمعرفة : ادراك الزمان والمكان والسببية الذي يكون مجرد لا متناهي، كما تتطور لديه
النظريات المتعلقة بالدين والميتافيزيقية وتحرر الفكر من الواقع الملموس وادراك المفاهيم المجردة
(الموت، الحياة، الله، ..)، اصبح فكره استدلالى فرضي (معادلات، مجاهيل، التفسير والتحليل
المنطقي)

بالرغم من اعتبار المراهقة فترة حرجة ومرحلة ازمة حسب فالون الا انها تعتبر مرحلة ثرية من الناحية
الفكرية (تطور القدرات العقلية)، وكذلك الجانب النفسي (نضج انفعالي)، وايضا الجانب الاجتماعي
(الخروج من التمركز حول الذات الى الاجتماعية)، ومن الناحية الجسمية (اكتمال النمو العضلي،
العظمي، العصبي) (Wallon, 1976, p80)

خلاصة

تعتبر نظرية هنري فالون من النظريات المهمة والاساسية في نمو الشخصية والذكاء لانها جاءت شاملة مقارنة بالنظريات السابقة (المعرفية والتحليلية)فقد ركزت واهتمت بتحديد مراحل النمو من المرحلة الجنينية الى مرحلة الرشد ، وتحديد مظاهر النمو من جميع جوانبه (المعرفي، النفسي، الجسمي والاجتماعي)، لانها تعتبر ان دراسة نمو الشخصية لا يتم الا من خلال دراسة الشخصية كوحدة متكاملة لا يمكن تجزئتها ، لذلك يعتبر فالون الشخصية كل متكامل او وحدة بيولوجية نفسية واجتماعية .

نظرية التحليل النفسي عند سيغموند فرويد

المحاضرة التاسعة: المفاهيم الاساسية في نظرية التحليل

النفسي

تعريف سيغموند فرويد S.Freud

طبيب أعصاب نمساوي من اصول يهودية، ومؤسس مدرسة التحليل النفسي، ولد في 6 ماي 1856 وتوفي يوم 23 سبتمبر 1939 ، درس الطب وتخصص في طب الاعصاب وكان مولعا بالتشريح ونشر عددا من البحوث العلمية، سنة 1881 تحصل على الدكتوراه في الطب وعمل في معمل ارنست بروك، سنة 1882 عمل في مستشفى فيينا الرئيسي ونشر أبحاثا عديدة عن الأمراض العصبية

1885 عين محاضرا في علم أمراض الجهاز العصبي، وفي نفس السنة سافر الى فرنسا ودرس هناك أين التقى بشاركو الذي كان يستخدم للتويم المغناطيسي في علاجه للهستيريا

عام 1886 عاد الى فيينا وعمل طبيبا وطبق ما تعلمه من شاركو، وفي سنة 1889 عاد الى فرنسا ونشر بحثا مع بروير حول العوامل النفسية للهستيريا، في سنة 1895 نشر كتاب دراسات في الهستيريا والذي يعد نقطة تحول في تاريخ علاج ا لأمراض العقلية والنفسية، فهو بمثابة حجر الأساس لنظرية التحليل النفسي

في سنة 1908 تم اصدار مجلة التحليل النفسي بإدارته، وفي سنة 1939 توفي بسبب مرض السرطان من أهم مؤلفاته: تحليل الاحلام 1899، 3 مقالات في نظرية الجنس 1905، 5 دروس في التحليل النفسي 1910، ما وراء مبد أ اللذة 1920، الانا والهو 1923، الكف، العرض والقلق 1926، لماذا الحرب 1933

1. تعريف نظرية التحليل النفسي

كلمة التحليل النفسي Psychanalyse مأخوذة من الكلمة اليونانية Psukhé والتي تعني تحليل الروح، أما اصطلاحا فهي نظرية علاجية ومنهجية وهي فرع من فروع علم النفس العام

2. موضوعه: اللاشعور الذي يعتبره فرويد أساس الحياة النفسية والذي يتجلى في:

* الأحلام: يسميها فرويد بالطريق الملكي والذهبي للاشعور

* الأعراض المرضية: وتعني القيام بسلوكات في الوعي لكنه غير متحكم فيها، وغير قادر على فهمها وتفسيرها كالأعراض المرضية لدى العصائبيين، نفث الشعر، قضم الاظافر

* زلات اللسان، الأفعال الفاشلة (الذهاب متأخر الى الامتحان).... (سعد جلال، 2001، ص28)

3. الجهاز النفسي:

يحتل الجهاز النفسي بالنسبة لفرويد قيمة "النموذج"، والذي تتلخص وظيفته في الحفاظ على الطاقة الداخلية للشخص (لابلانش.بونتاليس. 1987: 224)، و يوحى فرويد من خلال حديثه عن الجهاز النفسي الى ترتيب ما أو توزيع داخلي من أجل تحقيق نظام معين ، و تواجد مختلف الأنظمة المكونة للجهاز النفسي يتحدد انطلاقاً من موقعها ، بالإضافة الى قدرتها على نقل و تحويل طاقة معينة (Laplanche.Pontalis.1967.33)

يظهر مفهوم " الجهاز النفسي " أكثر وضوحاً عند التطرق الى المبادئ الأساسية التي تحكم الحياة النفسية ، بالإضافة الى التطرق للوجهات النظرية المتكاملة فيما بينها ، بحيث أن وجهة النظر الموقعية تصف الحيزات النفسية ، بينما وجهة النظر الدينامية تهتم بمصير الصراع ، في حين أن وجهة النظر الاقتصادية تشكل مرجع لمبادئ الحياة النفسية (مبدأ النرفانا ، مبدأ الثبات ... الخ)

و تم وضع هذا المصطلح من طرف فرويد للإشارة الى تنظيم و مكان و عمل السيرورات اللاشعورية ، فهو نموذج مكاني (Spatial) يضم الهيئات و الانظمة النفسية (vanier.2003 :08)

1.3. وجهة النظر الموقعية : تركز هذه الواجهة الى وجود تمايز بين أنظمة الجهاز النفسي تبعاً

لخصائصها ووظائفها، وتتعلق هذه الواجهة من تصور مكاني مجازي لمواضيع نفسية

(vanier.2003 :85)، و هناك نظريتين موقعيتين متكاملتين حسب فرويد ، و هما :

الموقعية الأولى : و فيها يتم التمييز بين 03 مستويات هي : اللاشعور ، ما قبل الشعور ، الشعور ، أما الموقعية الثانية : يكون التمييز بين 03 أنظمة أساسية و هي : الهو ، الأنا ، الأنا الأعلى

(لابلانـش.بونـتاليس.1997: 507)

أ. الموقعية الأولى (1 ére Topique) : بحيث عرض أول مفهوم موقعي للجهاز النفسي في الفصل السابع من كتاب " تأويل الأحلام " عام 1990 ، الا أنه بداية تطوره كانت منذ مشروع "علم النفس العلمي" (Projet de psychologie scientifique) حيث تم عرض الجهاز النفسي على شكل جهاز ذي طبيعة عصبية ضمن اطار علم الاعصاب (لابلانـش.بونـتاليس.1997: 506)

فبعد أن استهدف فرويد وضع مفاهيم تقترب الى المفاهيم العصبية الفيزيولوجية اهتم بعد ذلك بالتنظير النفسي لفهم العمليات النفسية (40: 1988.perron)، بحيث قام فرويد في كتاب " تفسير الاحلام :1900" بوضع أول مخطط لتنظيم الجهاز النفسي ، بحيث بين ثلاثة أنظمة و هي اللاشعور ، ما قبل الشعور ، و الشعور من خلال فكرة الموقع النفسي ، و الذي يتمتع كل منها بوظيفته الخاصة و نمط عملياته و طاقة التوظيف المحددة له (99: 1995.Anzieu)

و يتبين الوجه المكاني لنظرية الجهاز النفسي هذه من خلال مصطلح الرقابة الذي يكون الفاصل بين حدود الانظمة و يضبط العبور من نظام الى اخر (لابلانـش.بونـتاليس.1997: 506)

و يتكون الجهاز النفسي حسب الموقعية الاولى من ثلاثة انظمة هي: الشعور، ما قبل الشعور، و اللاشعور.

• اللاشعور (اللاوعي) (Inconscient) : يدل اللاشعور بالمعنى الموقعي على احد الانظمة التي

حددها فرويد في اطار نظريته الاولى عن الجهاز النفسي ، و هو يتكون من المحتويات المكبوتة التي

حضر عليها العبور الى نظام ما قبل الشعور-الشعور بفعل الكبت (166: 2004.Quinodoz)

و يعد اللاشعور مقرا للنزوات الفطرية فهو يتكون من تمثيلات للغرائز ، و تحكم من طرف السياقات التحويلية للعمليات الاولى كالأزاحة و التكثيف و الترميز ، فعلى مستوى اللاشعور تكون الطاقة حرة ، و تعمل باستمرار للعودة الى حيز الشعور (عودة المكبوت)، الا أن محتويات اللاشعور لايمكن أن تنفذ الى

نظام ما قبل الشعور- الشعور الا عن طريق تسوية بعد خضوعها لتحويلات الرقابة و تشويها

(42: 2003.vanier) ، و ينفذ اللاشعور من خلال : الاحلام ، زلات اللسان ، النسيان ، و بعض

الافعال اللاارادية كالهفوات و الهوامات ، بحيث أن اللاشعور يلجأ الى وسائل التخفي و الحيل كي يعبر عن نفسه ، بحيث أن هناك ضغط الدوافع للتعبير عن الحوافز الغريزية من جهة ، و من جهة أخرى الضرورة القاضية بالقمع ليكون السلوك مقبولاً في المجتمع (شراي.2008 : 27)

و يتميز اللاشعور باللامنطق لكونه لا يعرف التناقض ولا يلتزم بقوانين التفكير المنطقي ، كما أنه غير مرتبط بالزمن ولا يميز بين الماضي أو المستقبل بحيث أن كل ميول الفرد تتفاعل في اللاشعور على أنها انية (Bourdin .2004 :102)

كما يرى فرويد أن رغبات الطفولة هي التي تثبت على وجه الخصوص في اللاشعور ، الا أنها ليست مؤهلة جميعها للاندماج فيه ، فبفعل الكبت الطفلي يتم أول انشطار ما بين نظام اللاشعور و نظام الشعور/ماقبل الشعور ، لذا فان اللاشعور الفرويدي هو ذو تكوين متماسك و ليس مجرد معاش لامتمايز و هو مظهر في الموقعية الثانية (laplanche . pontalis.1967 :198)

• **ماقبل الشعور (ماقبل الوعي) (Préconscient):** استخدم فرويد هذا المصطلح في اطار نظريته الموقعية الاولى ، و هو يدل على نظام نفسي يتميز تماما عن نظام اللاشعور ، فهو يصف محتويات النظام ما قبل الشعور التي لاتكون حاضرة في المجال الشعوري الا أن وجودها في نظام ما قبل الشعور يتيح لها العبور الى مستوى الشعور .

و يتميز نظام ما قبل الشعور عن نظام اللاشعور في شكل الطاقة ، بحيث أن الطاقة المتواجدة على مستوى نظام ما قبل الشعور ، هي طاقة مقيدة نظرا لارتباط التصور في نظام ما قبل الشعور باللغة اللفظية اي بتصورات الكلمات (Présentations de mots) (55: 2008.chabert.verdon)

فمن وجهة النظر الميتاسيكولوجية فان نظام ما قبل الشعور يكون محكوما من طرف العمليات الثانوية (Quinodoz.2004 :168)، بحيث أن العبور من نظام اللاشعور الى نظام الشعور/ماقبل الشعور يخضع لرقابة أولية تمارس التحوير و التشويه ، الا أن العبور من نظام ما قبل الشعور الى نظام الشعور يخضع لرقابة العمليات الثانوية التي تتوجه نحو الانتقاء اكثر من التحوير ، مما يسير عملية الانتباه ، و ان كان هذا التمييز الاخير غير نهائي و قاطع (vanier.2003 :67) ، كما أن نظام ما قبل الشعور يتضمن مشتقات اللاشعور من جهة ، و من جهة أخرى يحتفظ بانطباعات العالم الخارجي ، أي أنه يتفاعل في نفس الوقت مع العالم الخارجي و مع اللاشعور (vanier.2003 :17)

• **الشعور (الوعي / Conscience)** : تبعا لنظرية فرويد الميتاسيكولوجية فان الوعي هو من وظائف نظام الادراك ، و يقع على محيط الجهاز النفسي بين العالم الخارجي و انظمة الذاكرة ، و يتكفل بتسجيل المعلومات القادمة من الخارج و ادراك الاحساسات الداخلية النابعة من اللاشعور و التي تسعى باستمرار الى الاشباع (laplanche . pontalis.1967 :94)

و تعاني الوضعية الموقعية للوعي من بعض الصعوبة، بحيث يتعارض نظام الادراك/الشعور من وجهة النظر الوظيفية مع أنظمة الاثار الذاكرية (اللاشعور/ماقبل الشعور) بحيث لا تسجل فيه بقايا للآثار ، أما من وجهة النظر الاقتصادية فان هذا النظام لديه طاقة تتمتع بحرية الحركة و قابلة لزيادة توظيف هذا العنصر أو ذاك (الانتباه) (laplanche . pontalis.1967 :94) ، فالطاقة التي تغذي الانتباه ترفع مستوى توظيف الادراك مثلا تصدر عن نظام ما قبل الشعور ، الا أنها تخضع لتوجيه المؤشرات الكيفية التي يقدمها الوعي.

بحيث أشار فرويد الى أن الشعور هو عضو الاحاسيس العليا لادراك الصفات النفسية و توجيه و توزيع كميات التوظيف المتحركة بشكل ملائم من خلال ادراكه لكيفيات جديدة من الاثارة حسب شدتها و تنوعها (laplanche . pontalis.1967 :97)

ان التطرق للانظمة الثلاثة المكونة للجهاز النفسي (الشعور/ماقبل الشعور/اللاشعور) يدل على عدم وجود حدود فاصلة بينها ، فالنشاط النفسي يمكن أن ينتقل من نظام الى اخر حسب نوعية الرقابة المتواجدة بين كل نظام و اخر (Quinodoz.2004 :168)، و التي تتراوح من :

التحويل و التشويه (نظام اللاشعور ← نظام ما قبل الشعور /الشعور)

الانتقاء(نظام ما قبل الشعور ← الشعور) وفق خصائص كل نظام

(Quinodoz.2004 :168)

ب. **الموقعية الثانية (2 éme Topique)** : انطلقا من 1920 صاغ فرويد مفهوم اخر عن الشخصية و ذلك نظرا لضرورة اخذ الدفاعات اللاشعورية بعين الاعتبار ، مما يمنع المطابقة بين أقطاب الصراع الدفاعي و بين الانظمة السابقة ، أي المطابقة بين الكبت و اللاشعور ، و بين الأنا و نظام ما قبل الشعور/الشعور. (Laplanche. pontalis.1967 :487) ، و يعد هذا النموذج للجهاز النفسي ذو صبغة موقعية انسانية (Anthropomorphisme) ، حيث تم عرض الانظمة الثلاثة و ك أنها

أشخاص مستقلون نسبياً داخل الشخص ، و تقترب الموقعية الثانية للجهاز النفسي من الصيغة الهوامية التي يدرك الشخص ذاته من خلالها.

و تستدعي هذه الموقعية ثلاثة أركان : الهو و يمثل القطب النزوي في الشخصية ، أما الأنا فهو موضوع التوظيف اللبيدو نرجسي الذي يمثل مصالح الشخصية ككل ، بينما الأنا الأعلى فهو يتشكل انطلاقاً من المتطلبات و النواهي الوالدية ليمثل ركن النقد و الحكم.(perron.1988:64)، ولا تقتصر هذه الموقعية على تمييز هذه الأركان الثلاثة ، بل تتعداها الى تمييز بنيات ضمنية داخل كل ركن مثل : الأنا المثالي / Moi idéal / مثال الأنا Idéal du moi ، بالإضافة الى الاهتمام بعلاقات التبعية المتواجدة بين مختلف الانظمة ليجاد الاشباع الغريزي في الأنا حتى ضمن نشاطاته التكيفية

(laplanche . pontalis.1967 :488)

و يتكون الجهاز النفسي حسب الموقعية الثانية من : الهو ، الأنا ، الأنا الأعلى .

• **الهو (ça) :** ظهر هذا المصطلح لدى فرويد عام 1923 في " الأنا و الهو " ، و هو يمثل أحد الأركان الثلاثة الخاصة بالنظرية الثانية عن الجهاز النفسي ، فمن وجهة اقتصادية يعتبر " الهو " المستودع الأول للطاقة ، أما من الوجهة الدينامية فيظهر من خلال صراعه مع الأنا و الأنا الأعلى اللذين يشتقان منه على الصعيد التكويني(Quinodoz.2004 :234)

و يعتبر " الهو " الشكل البدائي الأولي للجهاز النفسي ، فهو يظهر في المراحل قبل الولادية و عند الرضيع ، و يتكون من النزوات الفطرية العدوانية و الجنسية و الرغبات المكبوتة ، فهو مسير بالعمليات الأولية التي لا تراعي الوقت ولا المنطق و تخضع لمبدأ اللذة -عدم اللذة

(Laplanche.Pontalis.1967.36) ، و الانتقال من " اللاشعور " في النظرية الموقعية الأولى الى " الهو " في النظرية الموقعية الثانية هو اختلاف المنظورات التكوينية التي يندرجان منها ، فاللاشعور كان ناتج عن الكبت (chabert.verdon.2008 :67) ، و عبارة عن نظام متمايز عن بقية الانظمة الأخرى (الشعور/ماقبل الشعور) ، في حين أن " الهو " هو امتداد للحاجات البيولوجية ، و تنشأ بقية الهيئات الأخرى " الأنا " و " الأنا الأعلى " انطلاقاً منه (vanier.2003 :14)

• **الإننا (Moi) :** هو أحد أركان الجهاز النفسي حسب النظرية الموقعية الثانية لفرويد ، و هو يمثل القطب الدفاعي بين المتطلبات النزوية للهو و ضغوط العالم الخارجي و متطلبات الإننا الاعلى ، فهو وحدة تتشكل بالتدرج عبر الحياة (67: chabert.verdon.2008)

و تحاول النظرية التحليلية النفسية تبيان تكوين الإننا من خلال سجلين متباينين نسبيا ، السجل الأول يرى الإننا عبارة عن جهاز تكيفي تمايز عن الهو بالاحتكاك مع الواقع الخارجي ، أما السجل الثاني فيعرفه كنتاج للتماهيات التي تؤدي الى تكوين موضوع حب ضمن الشخصية ينصب عليه توظيف الهو (Laplanche.Pontalis.1967.241)

و يرى فرويد في هذا السياق الى أن " الإننا " هيئة تعمل وفق مستويين ، الأول يعمل على المستوى الجسدي على شكل مجموعة عصبونات تستثمر بطريقة مستمرة على شكل طاقة مقيدة ، و الثاني يعمل على المستوى النفسي وفق نظام السيرورات الاولية و الثانوية (42: Quinodoz.2004)

فمن وجهة النظرية الدينامية الاقتصادية يعمل الإننا وفقا لمبدأ الواقع و تتمثل مهمته في الحفاظ على الشخصية و حمايتها ، و اشباع متطلباتها بشكل لايتعارض مع الواقع و ظروفه ، و حل الصراع بين الفرد و الواقع أو بين الحاجات المتعارضة للفرد (233: Quinodoz.2004) ، و يكون نشاط الإننا شعوريا مثل الادراك الحسي الخارجي و الداخلي و العمليات العقلية و التفكير ، كما يمكن أن يكون لاشعوري باستخدامه لاليات الدفاع المختلفة من أجل حل الصراع بين الرغبات المتناقضة و الواقع (54: vanier.2003)، أي أن الشعور يبقى هو نواة الإننا ، لكن جزء كبير منه لاشعوري نظرا لوجود الاليات اللاشعورية (49 : Autiquet.2011)

أما من وجهة النظر الاقتصادية فيعتبر الإننا كخزان كبير للبيدو الذي ينطلق نحو الموضوعات ، كما أن الإننا يظل على استعداد دائم لامتصاص اللبيدو الذي يرتد ثانية من الموضوعات ، فالإننا هنا ليس مجرد نقطة عبور لطاقة التوظيف بل هو مكان الاستقرار الدائم لهذه الطاقة ، و يتخذ شكله من خلال هذه الشحنة الطاقوية (248: Laplanche.Pontalis.1967)

• **الانا الاعلى (Sur moi):** هو أحد أركان الشخصية حسب النظرية الموقعية الثانية لفرويد عن الجهاز النفسي ، و هو اخر ركن ينتج عن الهو ، و يتشكل انطلاقا من العمليات التقمصية لكلا الوالدين و من يقوم مقامهما في المجتمع، وهو يؤدي ثلاثة وظائف أساسية و هي : المراقبة الذاتية ، و الضمير و الرقابة (bergeret.1982 :54)

و يعرف الانا الاعلى كوريث لعقدة الاوديب اذ يتشكل من استدخال المتطلبات و النواهي الوالدية (Grunberger.Smirgel.1978 :113) ، في حين أن بعض المحللين النفسيين يرجعون تكوينه الى مراحل قبل اوديبية ك ميلاني كلاين (Quinodoz.2004 :235)

ولا يرجع فرويد تكون الانا الاعلى اعتمادا على الأهل ، بل اعتمادا على أنهم الأعلى ، و يؤكد على أن الطفل لا يتقمص الصور الوالدية ، من أجل تكون الانا الاعلى لديه ، بل يتقمص الانا الاعلى للوالدين (Grunberger.Smirgel.1978 :107)، و هو ما يفسر التقاليد و الاحكام القيمية المتناقلة بين الأجيال (لابلانث.بونتاليس.1997: 113)

و الجهاز النفسي وفق النظرية الموقعية الثانية ينطلق أصلا من استمرارية عدم التمايز بين الهيئات الثلاثة (الهو ، الانا ، الانا الاعلى) ، بحيث أن الأنا و الأنا الاعلى كلاهما ينشآن من الهو ، و تعمل هذه الهيئات الثلاثة بتكامل من أجل شخصية متزنة و متكيفة مع العالم الخارجي.

لا ينفصل الأنا عن الهو بشكل قاطع بل يختلط به في جزئه السفلي ، كما يمتزج المكبوت بالهو باعتباره جزءا منه ، أما الأنا فيتواصل مع المكبوت من خلال الهو ، كما أن الأنا الأعلى ليس مستقلا أيضا ، فهو يغوص في الهو ، فهو غير واع في القسم الاكبر منه.

ج. تكامل الموقعتين :

لم يتراجع فرويد عن التوفيق بين نظريتيه الموقعتين ، بحيث أنه قدم مجمل الجهاز النفسي بتواجد تقسيمات " الانا -الهو- الانا الاعلى " مع تقسيمات "اللاشعور -ماقبل الشعور- الشعور" في ان معا ، و هو ما قام بعرضه في كتابه "الموجز في التحليل النفسي:1938" (لابلانث.بونتاليس.1997: 508)

ففي الموقعية الاولى كان اللاشعور متطابق مع المكبوت ، و الانا بصفته الركن الثابت فهو يوظف عمليات دفاعية معظمها لاشعورية ، لذا فان جزءا من الانا غير شعوري ، و بالتالي فان اللاشعور يشمل الهو و جزء من الانا بالاضافة الى الانا الاعلى (لابلاش.بونتاليس. 1997 :572)، كما أن الصفات النفسية تكون اما شعورية ، ما قبل شعورية او لاشعورية ، حيث يعمل اللاشعور حسب السياقات الاولى ، أما ما قبل الشعور فيعمل حسب السياقات الثانوية ، و لأن الانا ينحدر من الهو فهو يتصف في بعض المواقف بصورة لاشعورية ، أين يكون مبدأ اللذة يتعامل في علاقة مع مبدأ الواقع خلال الحياة العادية (Bourdin.2004 :29)

و في اطار هذه النظرية ، و في عام 1895 افترض فرويد وجود اجهزة واقية في مواجهة الاثرات الخارجية سماها "صاد الاثرات : Pare-excitations" ، نظرا لتباين كميات الطاقة الفاعلة في العالم الخارجي و كمية الطاقة التي يقوم الجهاز النفسي بتصريفها ، و من هنا تظهر أهمية وجود أجهزة على الحدود ما بين الخارج و الداخل تسمح بمرور الكمية اللازمة فقط للجهاز (Quinodoz.2004 :214)، ففي اطار النظرية الموقعية يفترض فرويد وجود طبقتين ، الطبقة الخارجية واقية و تعرف ب " صاد الاثرات" ، أما الطبقة الداخلية فهي الطبقة المستقبلية و المتمثلة في نظام "الادراك-الشعور" و الذي يقوم بانتقاء "عينات" من العالم الخارجي (لابلاش.بونتاليس. 1997 :299) ، و تعمل الطبقة الداخلية كحاجز اتصال ، بحيث أنها تتلقى كل الاثرات الخارجية التي قد تتجاوز الغلاف الواقى ، بالاضافة الى استقبال الاثرات الداخلية ، لذا فهي لا تقتصر على الحماية فقط ، و انما تعمل عمل " مصفاة" تقوم بترشيح مختلف الاثرات (Anzieu.2013 :16)

2.3. وجهة النظر الاقتصادية : يطلق وصف اقتصادي على كل ما يتصل بالفرضية القائلة بأن العمليات النفسية تتمثل في سريان و توزيع طاقة نزوية قابلة للتكميم (أي قابلة للزيادة و النقصان و التعادلات) (perron.1988 :63)

والحياة النفسية تأخذ بعين الاعتبار كل من التصورات و العواطف المرتبطة بها ، بحيث يشير مصطلح العاطفة الى الجانب الكمي في استثمار(توظيف) التصورات ، بحيث ترتبط كمية من الطاقة النفسية بتصور نفسي او موضوع خارجي واقعي.

و يتحدد مفهوم هذه الطاقة النفسية من خلال مفهوم النزوة التي تتكون من جانب جسدي و جانب نفسي ، بحيث تتحول الطاقة اللبديدية (طاقة النزوات الجنسية) الى طاقة خاصة بالاستثمارات(التوظيفات) (Ali.1990 :73)

وقد كانت فكرة الفرضية الاقتصادية ترتكز في البداية على فكرة الجهاز النفسي الذي اعتبر عصبيا في البداية ثم اصبح نفسيا فيما بعد ، كما أن هناك صلة وثيقة بين الوجهة الاقتصادية و الوجهتين الموقعية و الدينامية ، ففي الوجهة الموقعية يعرف فرويد اركان الجهاز النفسي من خلال اسلوب سريان الطاقة ، بحيث أنه يربط النظام اللاواعي بالطاقة الحرة و النظام ما قبل الواعي بالطاقة المربوطة (المقيدة) أما الوعي فهو خاص بطاقة التوظيف (او الاستثمار) المفرط المتحرك (Autiquet.2011 :19) ، بينما تركز الوجهة الدينامية على الصراع النفسي ، أي ضرورة الاخذ بعين الاعتبار قوة النزوات أمام قوة الأنا و قوة الأنا الأعلى(Laplanche.Pontalis.1967.89)

3.3. وجهة النظر الدينامية : يصف هذا المصطلح وجهة النظر التي تدرس الظواهر النفسية

باعتبارها نتاجا للصراع و لتركيبية القوى ذات المنشأ النزوي التي تمارس نوعا معينا من الاندفاع (لابلانـش.بونتاليس.1987 : 248) ، و في اطار الميتاسيكولوجية يمكن التطرق الى الصراع من ناحيتين

* من الناحية الموقعية : يظهر الصراع بين الاجهزة

* أما من الناحية الاقتصادية – الدينامية فالصراع يظهر بين النزوات .

ففي النظرية الأولى اعتبر فرويد أن الصراع يمثل تعارض جهاز نظام اللاشعور من جهة و نظام ما قبل الشعور – الشعور من جهة أخرى تفرقهما الرقابة ، و هو ما يتطابق مع تعارض مبدأ اللذة و مبدأ الواقع ، حيث تكون القوتين المتصارعتين هنا هما الجنسية و جهاز الكبت ، و يعود سبب الكبت الى طبيعة التصورات الجنسية غير المتوافقة مع الأنا (لابلانـش.بونتاليس. 1997 : 305) ، و هو ما جعل فرويد يبني نظريته حول النزوات من خلال تعارض النزوات الجنسية مع نزوات حفظ الذات.

بحيث يصر فرويد منذ بداية اعماله و حتى نهايتها في " الموجز في التحليل النفسي " على الصلة بين
الجنسية و الصراع ، بحيث أن أعماله حول تطور الجنسية الانسانية هي ذات علاقة وطيدة بتنظيم الانا
(Laplanche.Pontalis.1967.306)

المحاضرة العاشرة: مراحل تطور الليبيدو (النمو النفسي الجنسي)

بالنسبة لفرويد الجنس لا يعني به العلاقة التناسلية بين الجنسين، بل هو كل ما يهدف الى تحقيق اللذة وأطلق عليه اسم الليبيدو Libido والتي يعني بها الطاقة النفسية الغريزية التي تدفع الطفل لتحقيق اللذة، بهذا المعنى لا يكون الجنس متمركزا في الاعضاء التناسلية بل يشمل كل الجسم، ومن ثم وصف فرويد نمو الدوافع الجنسية (الليبيدو) حسب مراحل نمو الطفل، واعتبر أن التطور الجنسي والنفسي لا يظهر لدى الطفل فجأة بل يتدرج عبر مراحل أساسية من النمو، وهذه المراحل لها ميزة خاصة فيما يتعلق بالموضوع، الهدف، المنبع، ونوع العلاقة بالموضوع ، وتطور الانا وتمايزه عن الموضوع ومدى استقلاليته أو تبعيته له . (ميموني، 2010، ص 135)

مراحل تطور الليبيدو (النمو النفسي الجنسي)

قسم فرويد مراحل نمو الليبيدو الى مرحلتين كبيرى هما

1. مراحل ذاتية (ما قبل تناسلية) وتضم : المرحلة الفمية – المرحلة الشرجية – المرحلة القضيبية

2. مراحل تناسلية وتضم : المرحلة الاوديبيية- مرحلة الكمون – مرحلة البلوغ

اولا: مراحل ذاتية (ما قبل تناسلية)

1. المرحلة الفمية (Stade Oral): تكون من الميلاد الى 12 شهر

يكون الفم فيها عبارة عن منطقة نزوية، ويتم من خلاله اشباع رغباته ، ويعتبر ثدي الام أول موضوع لغريزة الجنس، ثم الابهام، وكل اليد، يكون النشاط الاساسي في هذه المرحلة هو الرضاعة التي يشبع الطفل من خلالها حاجاته البيولوجية والنفسية. (perron.1988 :78)

من خصائص هذه المرحلة أنها تعتبر مرحلة ذاتية كون الطفل يستمد لذته ويستثمر طاقته الليبيدية في جسمه (الفم، الجلد، الحلق، الامعاء) وتسمى بالنرجسية الاولى، تكون العلاقة بالموضوع اندماجية لا تمايزية خلال الاشهر الثلاثة الاولى ثم شيئاً فشيئاً يبدأ في ادراك الموضوع جزئياً (الثدي) ثم كلياً (الام) ويعي أنه منفصل عنه لكنه يبقى معتمداً عليه وتابعا له ويخاف من فقدانه (8 اشهر) وهذا مؤشر هام في تكوين الانا وتمايزه عن الموضوع هذا من جهة، ومن جهة اخرى يعلن خروجه من النرجسية الاولى ويمر الى مستوى أرقى وهو النرجسية الثانوية والتي تعني أنه بادراك الطفل لأناه وللعالم الخارجي (الموضوع) فهو يستثمر فيهما طاقته الليبيدية (Roger, 2004, p 48)

قسم كارل ابراهام Karl Abraham هذه المرحلة الى فترتين هما :

● **فترة فمية بدائية/ سالبة :** و تتميز بالمص و الابتلاع ، و فيها يكون غياب التفرقة بين الجسم و الموضوع الخارجي، ويركز ابراهام على مفهوم الاجتياف L'introjection للموضوع دون أن يهدف الى تحطيمه

● **فترة فمية سادية :** و تتوافق مع نمو الاسنان لدى الطفل ، حيث يعبر فيها الطفل عن احباطه بواسطة العض، مما يطور لديه التناقض الوجداني Ambivalence اتجاه المواضيع ويصل الى ادراك الموضوع الجزئي (ثدي الام)، ويظهر في هذه المرحلة أهمية الفطام الذي يفسح المجال لدخول الطفل في صراع علائقي مع الموضوع كما يمنعه من اشباع لذته، وفي الوقت نفسه يكسبه تجربة تتمثل في عملية المضغ، بمعنى تسمح له مرحلة الفطام بالمرور من فترة جمود الى فترة نشاط

لكن ما يجب الاشارة اليه انه اذا فطم الطفل مبكرا وخاصة في هذه الفترة يظن أن الفطام جاء كعقاب لعدوانيته مما يؤدي به الى الشعور بالذنب من جهة ويكون سببا في زعزعة ثقة الطفل بمحيطه (خصوصا اذا كان الفطام مفاجئا) وهذا ما يثير لديه الخوف وبالتالي تقل مبادرات الطفل واكتشافه لذاته ولمحيطه مستقبلا، وفي هذا الصدد تقول دولتو F.Dolto يجب أن يبدأ الفطام من 5/4 اشهر ويكون تدريجيا حتى 10/8 اشهر، وبهذا يستطيع الطفل تقبل تغيير الموضوع وتغيير نشاطه (ميموني، 2010، 138)

2. المرحلة الشرجية (Stade Anal) تكون من سنة الى سنتين ونصف

تكون منطقة اللذة الشرج عند الاخراج (طرح الفضلات)، وتترافق هذه المرحلة مع اكتساب الطفل للمشي وتطور اللغة اللتين تساعدانه على ادراك العالم الخارجي ما يجعله يريد اثبات وجوده من خلال المعارضة و فرض الذات (ظهور كلمة لا)

و تقسم هذه المرحلة أيضا الى مرحلتين حسب كارل ابراهام :

• المرحلة السادسة الشرجية : و تتعلق بالجنسية الذاتية أين يرتبط التبرز بتفريغ الشحنة ، بحيث ان

تنظيف الأم للطفل يأخذ معنى التفريغ المجبر من جهة و الاستثارة من جهة اخرى ، و بهذا يستعمل الطفل المواد المتميزة لمواجهة الوالدين و الذي يعرضه في عدة احيان الى العقاب و هو ما يرتبط بالمازوشية. (Roger, 2004, p 49)

• مرحلة الامسك : يشعر الطفل في هذه المرحلة أنه يملك قدرة عاطفية على والديه ويستطيع

التحكم فيهما ويعارضهما، فبداية التحكم في العضلات السارة تسمح للطفل بتأجيل وقت الاخراج والذي يساعده في التحكم في جسمه من جهة ، وفي محيطه من جهة اخرى، ومن خلال عملية الاخراج تتضح طبيعة العلاقة التي يبنها الطفل مع والديه ويتوقف هذا على أسلوبهما (خصوصا الام) في تدريبه على عملية الاخراج ومشاعرها حيال ذلك بحيث:

* اذا كانت الام من النوع الذي يتودد الى الطفل ليخرج فضلاته، حنونته معه، دافئة ومتسامحة في التدريب، فان الطفل تتكون لديه فكرة مفادها ان عملية الاخراج نشاط بالغ الاهمية وبالتالي تكون العلاقة التي يبنها الطفل مع والدته جيدة قائمة على الحب الذي يعبر عليه الطفل من خلال القيام بعملية الاخراج واعتبار طاعته في طرح فضلاته كهدية يقدمها لاهمه

* اذا كانت الام شديدة الصرامة في التدريب على النظافة، فانها قد تسبب تثبيتا Fixation على هذا المستوى والذي ينعكس على طبيعة العلاقة التي يبنها الطفل مع والدته والتي تكون قائمة على العناد والتمرد من جهة، أو الطاعة العمياء من جهة أخرى، وينعكس على سلوكه مستقبلا بحيث:

- الطفل الذي يقبض على فضلاته ويصاب بالامسك ويعمم هذا الاسلوب في الاستجابة في المجالات الاخرى فقد ينمو لدى الشخص سلوك البخل وعدم الرغبة في اعطاء أي شيء، أو الكرم الزائد وعدم الحرص في الامور المالية ليس الانموا مفرطاً للعطاء للحصول على رضا الام

- قد يلتمس الطفل تحت وطأة أساليب الكبت مخرجا لغضبه كأن يطرح فضلاته في أوقات غير مناسبة لرغبات الام، فتنمو لديه مستقبلا جميع اشكال السلوك الذي يتميز بالقسوة، الانغماس في الشهوات، الميل الى التدمير، العدوان، نوبات الغضب والفوضى، انعدام وعدم احترام النظام التثبيت على المستوى الشرجي قد يؤدي الى نظافة مفرطة في مرحلة الرشد ونزعة الى حب النظام والترتيب والاهتمام الشديد بالتفاصيل اذا تقبل السلطة الوالدية، أما اذا رفض الخضوع لرغبات الام فقد يكون مهملا وقذرا وفوضويا، وعليه ثبوت الليبيدو في هذه المرحلة هو الذي يفسره فرويد بالانحراف السادي والمازوشي عند الراشد (Golse, 2015, p 14)

3. المرحلة القضيبية (Stade Phalique)

تعتبر مرحلة ممهدة للمراحل التناسلية ، فهي تمتد من سنتين ونصف الى ثلاث سنوات ، فهي مرحلة يعتبر العضو التناسلي هو منطقة اللذة مع الاهتمام بالاختلاف الجنسي والفروقات الجنسية . من خصائص المرحلة ادراك الاختلاف الجنسي (3 سنوات) أين يكشف الطفل أن الاختلاف الجنسي ليس مؤسسا على اللباس بل على الاعضاء التناسلية، كما وتعتبر هذه المرحلة ذاتية لان الطفل لازال يهتم بجسمه سمي فرويد الطفل في هذه المرحلة بأنه متعدد الانحرافات بسبب الاستمنا (اللعب بالاعضاء التناسلية)، تطور الفضولية فيما يخص الجنس والعلاقة بين الاب والام (Roger, 2004, p 102) تعتبر هذه المرحلة مهمة في النمو النفسي الجنسي للطفل لانه فيها تصل الجنسية الطفلية الى ذروتها وتنظيمها النهائي، اذ اتعب فرويد هذه المرحلة كموجة أولية لظاهرة اختيار الموضوع، وفيها يكتشف الطفل هويته الجنسية، كما وتتميز بظهور نزوة البحث والمعرفة، اذ نجد لدى الطفل رغبة كبيرة في المعرفة وطرح الاسئلة المتعلقة بالفضول الجنسي كأن يسأل عن منشأ الطفل، اذ يؤكد فرويد على أهمية الفضول الجنسي الذي يظهر لدى الطفل ويعتبره محركا لكل رغبة أو تجربة جنسية

كما وأنه في هذه المرحلة تتوحد النزوات الجزئية ، و تظهر أكثر علاقات الطفل مع والديه ، فالذكر يتميز بعقدة أوديب أين يميل الى أمه و يواجه صراعه نحو الاب لينتهي في الاخير بتقمصه نتيجة قلق الخساء ، أما الفتاة فادراكها لغياب القضيب لديها يعوض بالرغبة في الحصول على طفل من الأب (Berthe.1997 :67)

ثانيا : المراحل التناسلية

1. المرحلة الاوديبية 5/3 سنوات

ما يميز هذه المرحلة هو ظهور طرف ثالث في العلاقة بالموضوع وهو الأب ، وينتج عن هذه العلاقة الثلاثية ظهور عقدة أطلق عليها فرويد اسم عقدة الاوديب التي استمدتها من الاسطورة اليونانية التي تحكي قصة الملك اوديب الذي قتل أباه وتزوج بلمه دون أن يعرف، وعندما اكتشف الامر فقع عينه وتاه في الارض، من هذه الاسطورة استخلص فرويد أن كل طفل يرغب في امتلاك أمه بالنسبة للذكور، وأباه بالنسبة للاناث ومن خلال التربية والثقافة تترسخ لدى الطفل مفهوم تحريم المحارم

* عقدة الاوديب

تعد "عقدة الاوديب : Complexe d'oedipe " وراء اكثر نماذج الصراع الدفاعي تنوعا ، بحيث ان الشخص يجب ان يجد مكانه ضمن بنية عقدة الاوديب (لابلاتش.بونتاليس.1997: 306)

حيث يقدمها فرويد كمنظم اساسي للشخصية والذي يكون ظهورها من 3 الى 5 سنوات اين يتشكل الصراع الاوديبى انطلاقا من الاشكالية الثلاثية او من الصراع الجنسي في ثلاثية تناسلية تقوم بين الام- الابن - الاب

و يكون الأوديب موجبا أو سالبا حسب جنس الطفل و جنس الوالد الذي يتم تقمصه ، بحيث أن اتفاق جنس الطفل مع جنس الوالد يجعل الأوديب موجبا (أب - طفل / أم - طفلة) . في حين ان اختلاف جنس الطفل عن جنس الوالد المتقمص يجعل الأوديب سالبا (Quinodoz.2004 :234)

نفهم من هذا أن هناك عاطفة حب وكره للجنس المغاير، وهذا يجعل الطفل يعيش تناقضا وجدانيا في علاقته بوالديه، فقد يشكل الاب بالنسبة للطفل مصدر تهديد واحباط كونه ينافس في حب واهتمام الام هذا من جهة، ومصدر أمن ورعاية من جهة اخرى، وعليه يصبح الاب مصدر حب وكره في نفس الوقت، والشيء نفسه يكون مع البنت في علاقتها بلمها

يتخلل عقدة الاوديب ظهور قلق أطلق عليه فرويد اسم قلق الخصاء L'angoisse de castration الذي يكون ظهوره مرهونا بامتلاك القضيب والخوف من فقدانه، وعليه يلعب امتلاك القضيب دورا اساسيا في الصراع الاوديبى وفي توجيه التقمصات التي تاتي بعده، اذ يشير فرويد الى أن ملاحظة العضو التناسلي الانثوي يجعل الطفل يؤمن بالتهديد بالخصاء، فبعد افتخاره بامتلاك القضيب أصبح متأكدا من أن شخصا يشبهه يفتقد لذلك ومنه أصبح التهديد بالخصاء يلعب دورا، فالطفل الذكر بادراكه للفروق الجنسية يجعله يستنتج أن البنت لها عضو ذكري ولكنه صغير أو أنه سينمو مع رور الوقت (تعويض سحري عن خوفه من الخصاء)، لكن في نهاية المطاف يتقبل ويدرك أنه غير موجود كعقاب لها من طرف الوالدين بسبب نزواتها ورغباتها يشعر بأنها محرمة أو ممنوعة كالاستمناء، لذلك يصبح الاب بالنسبة له في هذه الحالة مصدرا منافسا وخطر، وقد نتت أيد مخاوفه بسبب ما يصدر عن الاب من تهديدات تدور حول الحاق الاذى به وبلعضاءه التناسلية،

أما بالنسبة للانثى فعندما تكتشف أن الولد يمتلك عضوا جنسيا مختلفا عما لديها فانها تعيش هذا القلق لا على أساس وهمي بل كواقع فيزيولوجي وجرح نرجسي، وهذا ما يجعلها تدخل في مرحلة الاوديب وتسعى الى

* الرغبة في اكتساب عضو مثله لانها تظن انه كان موجودا وفقدته مما يجعلها تبحث كيف تستعيده

* تتهم أمها وتعتبرها المسؤولة عن غياب العضو الذكري لديها مما يجعلها تتقرب من الاب وتغير

بالتالي موضوع الحب الاول من الام الى الاب ولغيره من الرجال

تبدأ مشاعر الحب والكره تمتزج بمشاعر الحسد للذكور لاملاكهم شيئا تفتقر اليه وهو ما يعرف بحسد القضيب أو عقدة الذكورة والذي يعتبر المقابل لقلق الخصاء لدى الذكور (Golse, 2015, p 17)

فالبنيت تتخيل انها فقدت شيئاً ذا قيمة ، في حين يخاف الولد من ان يتعرض لفقدانه، فمن خلال التهديد بالخصاء يتخلى الذكر عن رغبته في الام وحقده على الاب ، وبهذا تحل الصراعات الاوديبية بعدما يتخلى الطفل عن رغباته الاوديبية بسبب خوفه من الخصاء، وبفضل السياق التقمصي الذي يفرض عليه التخلي عن المواضيع البدائية (استبطان مفهوم المحارم) واستبدالها بمواضيع خارجية (تقمص ادوار الاب)

أما البنيت فعندما تدرك استحالة تحقيق رغبتها في أن تحل محل امها وتمتلك الاب بسبب كون الام تمثل حاجزا لرغباتها الاوديبية فتتخلى عن منافستها وتقمصها ، لكن النمو النفسي الجنسي للفتاة يتحدد حسب نوعية تقمصاتها، اذ يرى فرويد أن الصحة الانثوية تتوقف حسب علاقة البنيت ب أمها أي بتقمصاتها الاولى (قبل الاوديب) باعتبار الام أول موضوع حب لها، اضافة الى تقمصاتها الثانوية وصراعاتها الاوديبية وطريقة حلها للصراعات، بمعنى أن التقمصات تحل محل الشحنات الانفعالية

(Roger, 2004, p104)

وعليه فالذكر والبنيت لهما ازواج جنسي وتلعب قوة التقمص مع أحد الوالدين دورا في تحديد استعداداتهما الذكورية والانثوية، فتخلى الطفل عن رغباته المحرمة واستبدالها ب أخرى غير محرمة يتم حسب كورنت 1994 Cournot بسبب تواجد مشاعر الذنب في عمل الحداد، و أن هذه المشاعر ترتبطة بعقدة الاوديب والأنا الاعلى وريث هذه العقدة

فالحداد يلعب دورا هاما في حل عقدة الاوديب، وتخلى الطفل عن رغباته الاوديبية باعتباره" عملية نفسية يلجأ اليها الفرد حتى يتجاوز تجارب فقدان وتقبل الواقع والتغيرات الناتجة عن هذا الفقدان"، كما لا ننسى أهمية تشكل الوظيفة النفسية المتمثلة في الانا الاعلى والتي يعتبرها فرويد وريث الاوديب والتي تتشكل من خلال استدخال الطفل للنواهي الوالدية وكذا خوفه من الخصاء

نستنتج مما سبق أن التخلي عن المواضيع البدائية المحرمة يتطلب من الذكر التخلي عن موضوع حبه الاول (الام) حتى يصبح رجلا، وعلى الانثى التحرر من موضوع حبه الثاني (الاب) حتى تصبح انثى وأم مستقبلا، هذا يعني أن يستبدل كل من الذكر والانثى المواضيع الاوديبية بغير الاوديبية، وبهذا يتحرر الفرد من المواضيع البدائية لتتحدد هويته الجنسية بصفة نهائية. (ميموني، 2010، ص 140)

وعليه تكمن أهمية المرحلة الاوڤيبيية في

*اختيار النهائي للموضوع الليبيدي

* التعرف على اختلاف الاجناس (ادراك الفروقات الجنسية)

التعرف على اختلاف الاجيال (جيل الاباء وجيل الابناء)

*الدخول في التناسلية مع جمع النزوات الجزئية تحت سيطرة التناسل

* تكوين الانا الاعلى كضمير اخلاقي (الشعور بالذنب) من خلال استبطان مفهوم تحريم المحارم أين يتخلى الطفل لذكر عن حب الام كموضوع جنسي ويتقص الاب الذي يسمح له بتكوين الانا المثالي

* حل الاوڤيبي يعني اعلاء لصورة الاباء المستبطنة وهو استبطان لكل المحرمات الماضية والحاضرة (خاصة الجنس) التي يتكون على أساسها الانا الاعلى بتقص الانا الاعلى للوالدين مما يجعله اكثر صرامة من الوالدين وتدرجي ينوب الانا الاعلى للطفل عن الوالدين ومع تلاشي سلطتهم كليا ونضجه يصبح لديه أنا أعلى مستقل ونسق حر

* تقمص الطفل للوالدين يسمح له أن يتحرر من طاقة نفسية لبيبيدية هامة ويوجهها نحو المواضيع الخارجية، لذلك بفضل هذه المرحلة يرتقي الطفل من مرحلة بيديائية الى مرحلة انسانية (اجتماعية، ثقافية) أين يستثمر فيها طاقته في البحث عن نشاطات علمية، علائقية، ثقافية ومنه الدخول الى مرحلة الكمون

لكن ما يجب الاشارة اليه هو أن أي مشكل يحدث و يعرقل الخروج من مرحلة الأوڤيبي يؤدي لاحقا الى ظهور العديد من الاضطرابات كالاضطرابات الجنسية (Pirlot.Pedinielli.2013 :50)

2. مرحلة الكمون (Période de latence) 11/6 سنة

تتزامن هذه المرحلة ودخول الطفل الى المدرسة مما يفتح له المجال لتكوين علاقات اجتماعية جديدة ومتنوعة مع جماعة الاقران والمعلمين، تتميز هذه المرحلة بهدوء الدوافع النزوية مما يدل على نجاح الاوڤيبي وذلك من خلال تحويل الطاقة الجنسية لاهداف غير جنسية كالرغبة في البحث والمعرفة وتوجيه الاهتمام الى مواضيع خارجية وهذا بفضل توظيف الاليات الدفاعية المتمثلة في التسامي والاعلاء La

sublimation والعقلنة Rationalisation مما يدل على تطور الأنا الى مستوى جد متطور وراقي والذي أصبح قادرا على تلجيل الرغبات وتبديل الأهداف الليبيدية الى أهداف معرفية، ويقوم الانا الاعلى الذي يكون صلبا وقويا بتخفيف العبء على الانا ومساعدته في تسيير الحاجات والنزوات

(Roger, 2004, p 153)

كما تعتبر هذه المرحلة اجتماعية لان الطفل فيها يدرك معنى الانتماء لجماعة الرفاق، احترام قانون اللعب، معرفة الحقوق والواجبات، وفي هذا الصدد تقول دولتو F.Dolto على أنها " المرحلة التي يكشف فيها الطفل معنى الزمالة والوفاء بين الزملاء"، وما يلاحظ أن الطفل في هذه المرحلة أنه يختار رفاق اللعب والدراسة من نفس الجنس، لذلك يعتبرها فرويد مرحلة الجنسية المثلية السوية، زد على ذلك تتميز هذه المرحلة بتعدد النماذج التقمصية (الزملاء، المعلمين) الذين كلما علت صورتهم لدى الطفل أصبحوا نماذج تقمصية (vanier.2003:50)

3. مرحلة البلوغ والمراهقة Puberté 12/11 سنة فما فوق

تعتبر هذه المرحلة مرحلة نرجسية أين يبدي المراهق اهتماما مفرطا بجسمه وأجزاءه والتغيرات التي طرأت عليه واعادة النظر في الهوية، فاذا تقبل المراهق جسمه وتغييراته فان ذلك يساعده على تكوين صورة ايجابية لجسمه وبالتالي صورة ايجابية لذاته والتي تسمح له بتكوين الثقة في ذاته وتكوين هوية نفسية وجنسية واجتماعية سوية وذلك من خلال استغلال قدراته والمحافظة على جسمه وبالتالي توافق نفسي واجتماعي، أما اذا رفض المراهق التغيرات التي طرأت على جسمه هذا يدفعه الى تكوين صورة سلبية على جسمه وذاته وبالتالي عدم تكوين هوية نفسية وجنسية مما يجعله غير واثق من نفسه ومن قدراته مما يؤدي الى تحطيم جسمه بشتى الطرق وعدم المحافظة عليه وبالتالي سوء التوافق النفسي والاجتماعي والسقوط في المرضية (اضطرابات صورة الجسم، واضطرابات الهوية الجنسية)

(Roger, 2004, p155)

كما تتميز هذه المرحلة بنمو الغريزة الجنسية في اتجاه الهدف البيولوجي ومن هنا يعود الفرد ينظر ويهتم بالجنس نظرة مشبعة باللذة ولكن بادراك جديد ، اذ يرغب في رفيق من سنه وليس أحد الوالدين ، حيث يحتل الحب مكانة هامة في حياة المراهق الذي يتجلى في الصداقة الكاملة وما يسمى بالحب الافلاطوني وكذا الاقتراب من الاقران من نفس السن، زد على ذلك تعتبر مرحلة عودة الصراعات الادويبية من جديد والتي تشكل قلقا يكون مرتبطا بالرغبة في الكبر والاستقلالة والتحرر وبين التبعية للأم كموضوع حب يجب التخلي عليه والتحرر منه، لذلك يظهر الصراع بينن هتين القوتين (تبعية وتحرر) بهدف اثبات الوجود وتحقيق الهوية (مرحلة معارضة) (Golse, 2015, p 21)

وعليه تعتبر هذه المرحلة الفرصة الاخيرة لاجتياز الاويدب واختيار موضوع جديد ونهائي وحل الصراع بهدف تحقيق التوافق النفسي، الجنسي الاجتماعي وذلك من خلال الدخول في النشاط الاجتماعي مستقبلا كالزواج، انشاء أسرة ورعايتها، الميل الى التقدم المهني والقيام بمسؤوليات الراشدين.

(Berthe.1997 :67)

المحاضرة الحادية عشر: النزوة La pulsion

1. تعريف النزوة

تعتبر النزوة من المفاهيم الاساسية التي تطرق اليها فرويد في نظريته والتي قام بتمييزها عن مفهوم الغريزة ، حيث تعرف النزوة في اطار التحليل النفسي على أنها عملية دينامية تتمثل في اندفاع شحنة طاقوية نحو هدف معين ، وتتبع النزوة حسب فرويد من اشارة جسدية (حالة توتر وقلق) ، ويتمثل هدفها في القضاء والتخفيف من حالة التوتر التي تكون على مستوى المصدر النزوي ، يمكن للنزوة أن تترك هدفها هذا في الموضوع ذاته أو بفضله (لابلانز- بونتاليس، 1997، ص 531)

وبتعريف أكثر دقة هي اثاره داخلية ملحة متواصلة لا يمكن الهروب منها ، تدفع الفرد الى البحث عن حلول وطرق من أجل اشباعها. (ميموني، 2010، ص 95)

أما الغريزة فيمكن تعريفها على أنها صورة من صور النشاط النفسي وطرز من السلوك يعتمد على الفطرة والوراثة البيولوجية، حيث عرفها فرويد على أنها ميل فطري سلوكي موروث خاص بنوع حيواني معين، لا تتباين الا قليلا من فرد الى اخر ضمن نفس النوع، وتجرى تبعا لمسار زمني ينذر تعرضه للانقلابات، تبدو وكأنها تجيب على غائبة معينة. (لابلانز- بونتاليس، 1997، ص 382)

2. الفرق بين الغريزة والنزوة

ترتبط الغريزة بالحاجة أما النزوة فترتبط بالرغبة أكثر ويمكن أن تدمج الحاجة، وتتصف الغريزة بالثبات من حيث الهدف وطريقة تفريغ التوتر والموضوع الذي يحقق التفريغ، بينما تتمتع النزوة بالمرونة من حيث طرق الاشباع والمواضيع المستهدفة، أما هدف الغريزة فيكون أساسيا في حين يكون للنزوة اهدافا أساسية وثانوية، أما من حيث طريقة الاشباع فتتم بطريقة واقعية في الغريزة ، وبطريقة واقعية وهوامية في النزوة .

3. مكونات النزوة

عرف فرويد النزوة من خلال 3 مكونات أساسية هي : الهدف، المنبع والموضوع ، واضاف Jeamment

مكون رابع وهو الدفعة واعتبرها أساسية في تحديد مفهوم النزوة بدقة

* **الدفعة:** ومعناها القوة الدافعة أو العامل المحرك التي تجعل الانسان يحس بها (الطاقة التي تسيرها) ونقصد بها كذلك الجهد المبذول من طرف الفرد للوصول الى الاشباع

* **الهدف:** تحقيق الاشباع والوصول الى اللذة حسب خصائص النزوة، مثلا عطش/ شرب، جوع / أكل

* **الموضوع:** الوسيط / الوسيلة التي تسمح بالوصول الى الهدف سواء كان جزئي أو كلي، استهامي، داخلي، خارجي ، مثلا كان يستخدم الطفل ابهامه في غياب ثدي الام

* **المنبع:** يعني المكان الذي تتظاهر فيه النزوة ، أين؟ في أي منطقة من الجسم، ومن أي ساحة نفسية تأخذ منبعها ، وحسب مورال Morel يمكن أن يكون منبع النزوة داخليا أو خارجيا او الاثنين معا، كما قد يكون نفسيا او جسديا او الاثنين معا، فمثلا الجوع يتظاهر جسديا من خلال استثارة لمنطقة غلمية (تتقلص المعدة) ويفجرها عوامل داخلية او خارجية . (Golse, 2015, p 8)

4. نظريات النزوة: قدم فرويد نظريتين حول النزوة هما :

* النظرية الاولى (1910-1915):

حيث تقوم النظرية الاولى على تقسيم النزوة الى نوعين هما النزوات الجنسية ، ونزوات الأنا (الحفاظ على الحياة)، حيث تدل نزوات الانا في اطار نظرية فرويد على نمط نوعي من النزوات التي تضع طاقتها في خدمة الانا خلال الصراع الدفاعي، وهي تدرج ضمن نزوات حفظ الذات وتتعارض مع النزوات الجنسية، أما النزوات الجنسية فيرى انها بمقدورها أن تصب طاقتها على موضوع خارجي (ليببدو الموضوع)، أو على الانا (ليببدو الانا) فجاء التعارض بين ليببدو الانا و ليببدو الموضوع كي يزيل التعارض بين نزوات الانا والنزوات الجنسية، وعليه أدرج فرويد النزويتين تحت نزوات الحياة

(لابلانث - بونتاليس، 1997، ص 517)

* النظرية الثانية: 1920

قسم فرويد النزوة الى نوعين اخرين هما نزوات الحياة Eros ونزوات الموت Tanatos، حيث أشار في كتابه " ما وراء مبدأ اللذة " الى التضارب بين نزوات الحياة "ايروس" مع نزوات الموت " تاناتوس " واعتبر أن نزوة الحياة ماهي الا طريق ملتف نحو نزوة الموت ، بحيث تهدف نزوات الحياة الى الحفاظ على الوحدات الحيوية (نزوات الحفاظ على الذات و اللبيدو النرجسية) ، في حين تهدف نزوات الموت الى تحطيم الوحدات الحيوية للفرد. (chabert.verdon.2008 :66) .

كما أشار في كتابه " مدخل الى النرجسية" الى أن جزء من نزوات الموت يرتبط مع النزوات الجنسية و توجه نحو موضوع خارجي و هو مايعرف بالسادية ، أما نزوات الموت المرتبطة بالنزوات الجنسية و الموجهة نحو الفرد نفسه فهي توافق المازوشية الاولية ، بينما تمثل المازوشية الثانوية توجيه السادية نحو الفرد نفسه. (Pirlot.Pedinielli.2013 :44)

المحاضرة الثانية عشر : الاليات الدفاعية

قبل التطرق الى مفهوم الاليات الدفاعية كان لزاما التطرق اولا الى مفهوم الدفاع كونه المصطلح الأسبق بالظهور من جهة ، و من جهة اخرى يعتبر هو أساس ظهور مصطلح الاليات الدفاعية .

1. مفهوم الدفاع

ظهرت كلمة "دفاع : Défense " لأول مرة عام 1894 في اعمال فرويد حول "عصابات الدفاع : Inhibition.Symptome et Psychonévrose de défense" و " الكف ، العرض، و القلق: Inhibition.Symptome et Angoisse"، بحيث انه استعمله كوصف عام لجميع الحيل التي يستخدمها الأنا في حالات الصراع (شراي 2011: 42)

و يمثل مجمل العمليات الهادفة الى اختزال و ازالة كل تعديل من شأنه تعريض الفرد للخطر ، و ينصب الدفاع بشكل عام على الاثارة الداخلية (النزوة) و بشكل اكثر وضوح على التصورات التي ترتبط بها النزوة ، و على تلك الوضعية القادرة على اطلاق هذه الاثارة بشكل يتعارض مع التوازن و يشكل ازعاجا للأنا (لابلانن.بونتاليس.1997: 244)

و الدفاع كما تعرفه "أنا فرويد : Anna Freud" هي عبارة عن كل فعل يهدف الى ضمان أمن الانا لتجنب الالم (Freud A.2001 :41)

في حين يعرفه "بيرون : Perron" انه مجمل العمليات ضد الاخطار الخارجية و الاخطار الداخلية ، اي كل ما يهدد توازن الذات (perron.1985 :74)

و مهما تعددت نماذج الدفاعات فان قطبي الصراع هما دوما الأنا و النزوة، بحيث يمكن اعتبار النزوة ذاتها كمصدر خطر على الأنا -خطر داخلي- ، و من الممكن رد كل خطر الى علاقة الفرد مع العالم الخارجي ، فالنزوة هنا ليست خطر الا بمقدار الاذى الواقعي الذي يمكن ان يؤدي الى اشباعها (vanier.2003 :20)

و بالتالي فان عملية الدفاع هي من اختصاص الانا الذي يهدف الى مجابهة الاخطار الداخلية و الخارجية التي تسعى الى تهديد الاستقرار الداخلي ، بحيث تتمثل مهمة الانا في الحفاظ على التوازن النفسي باستعمال وسائل خاصة تتمثل في اليات و ميكانيزمات الدفاع (شرادي .2011: 45)

2. مفهوم اليات الدفاع (Les Mécanismes de défenses)

استخدم فرويد مصطلح "الميكانيزم" او "الالية" منذ البداية لوصف التناسق الذي تبديه الظواهر النفسية و الذي يمكن ملاحظته و تحليله علميا ، و ذلك في المداخلة الاولية عام 1893 التي قدمها كل من "فرويد" و "بروير:Breuer" حول "الميكانيزم النفسي للظواهر النفسية " ، و قد اعتبر فرويد في اعماله حول الهستيريا ان الدفاع يكون ضد الجنسية معتبرا الكبت مرادفا للدفاع ، الا انه في كتابه "الكف العرض و الفلق :1926" قد اشار الى ضرورة امتلاكنا لطرق دفاعية اخرى اضافة الى الكبت

(laplanche . pontalis.1967 :133)

ومن خلال كتابها " الأنا و الميكانيزمات الدفاعية " واصلت أنا فرويد الاعمال النظرية حول الاليات الدفاعية ، بحيث اشارت الى ضرورة تأقلم الانا مع الواقع الخارجي من جهة ، و مع علاقاته النزوية و اللاشعورية من جهة اخرى (Quinodoz.2004 :237)

وحسب "شابير :Chabert" فالدفاع هو مجموع العمليات الهادفة للتقليل من حدة الصراع النفسي الداخلي بشكل يحول دون صعوده الى حيز الشعور ، في حين ان اليات الدفاع هي الانماط المختلفة للعمليات التي يمكن ان يتخصص الدفاع فيها ، اي الاشكال العيادية لهذه العمليات الدفاعية (لابلانـش.بونتاليس.1997: 491)

وتعتبر الاليات الدفاعية انماطا مختلفة من العمليات التي يمكن للدفاع ان يختص فيها ، و تنتوع الاليات الدفاعية السائدة تبعا للمرحلة التكوينية ، و تبعا لدرجة ارضان الصراع الدفاعي.

(Laplanche. pontalis.1967 :134)

ويرى "شازو : Chazaud" ان الاختلافات في الدفاع و خصوصياته تتعلق بمستوى تنظيم الانا و بطبيعة الضغط الذي يرغب بحماية نفسه منه.

في حين يرى "ناشت" (Nacht) ان الاليات الدفاعية المستعملة من طرف الانا تختلف وفقا لما اذا كانت في خدمة انا منظم او غير منظم (شراي. 2011. 47)

وهذا لايعني ان حالة السواء تخلو من الاليات الدفاعية بحيث تؤكد " شنتوب : Shentoub" أنه يجب علينا ان نتقبل انه لا يوجد تنظيم نفسي بأي درجة ممكنة من السواء الا اذا وجدنا فيه مجالا لاليات الدفاع (شراي. 2011. 46)

كما ترى ان الاليات الدفاعية هي مجموعة من العمليات التي يختص بها الانا ، و التي تهدف الى المحافظة على نوع من الاستقرار التلقائي (Homéostasie) للفرد اتجاه التأثيرات الداخلية (النزوات) و الخارجية (المتطلبات المحيطة) ، و يرى بيرون ان الفرد يستعمل الاليات الدفاعية من اجل التوازن و التكيف (شراي. 2011. 48) .

وقد ميز "لاغاش : Lagache" و " بيبريج : Bibring" بين ميكانيزمات الدفاع و ميكانيزمات التخلص (Les mécanismes de dégagement) ، بحيث ان الاليات الدفاعية هي لاشعورية و تهدف الى خفض التوتر النزوي و القلق الناتج عنه تبعا لمبدأ اللذة و باستعمال العمليات الاولية .

بينما تخضع ميكانيزمات التخلص الى العمليات الثانوية (مبدأ الواقع) و تهدف الى توفير الشروط الداخلية التي تحقق التكيف المرن للفرد ، و كذا الشروط الخارجية التي لا تتطلب التجنب بل الاندماج و التكيف. (bergeret.1982:91)

كما تجدر الاشارة الى التفرقة بين مصطلح المقاومة و الدفاع ، بحيث تتجسد المقاومة (Résistances) من خلال الدفاعات التي تظهر في التحويل و في العلاج التحليلي ، بحيث ان الشخص يدافع ضد العلاقة العلاجية و الوعي خاصة من خلال التداعي الحر للافكار لخفض القلق العلائقي. (bergeret.1982:91) ، بحيث يرى فرويد انه اثناء العلاج تظهر الاليات الدفاعية على شكل مقاومة للشفاء ، و ذلك لان الانا يعتبر الشفاء بحد ذاته كخطر جديد عليه

(لابلان.بونتاليس.1997. 488)

و بما ان مفهوم اليات الدفاع هو مفهوم تحليلي ، فهناك اتجاهين سائدين حول كيف يتجلى هذا المفهوم من خلال التقنيات الاسقاطية :

أ. **الاتجاه الاول** : اتجاء الباحث روجي بيرون ، الذي اهتم بتحديد و تعريف مفهوم اليات الدفاع تماشيا مع مادة التقنيات الاسقاطية (شرادي .2011 :78)

و يرى بيرون انه من المعتاد دراسة الدفاع في التقنيات الاسقاطية ، اي الاساليب المستعملة من طرف الشخص بطريقة لاشعورية او ماقبل شعورية لتجنب الاستدعاءات المؤلمة او التصورات الخطيرة ، و يرى ان استعمال مفهوم اليات الدفاع كما هو مستعمل في نظرية التحليل النفسي بالنسبة للتقنيات الاسقاطية هو استخدام غير متبصر (سي موسي ، زقار . 2015 : 83) ، بحيث انه يتم في هذا المجال الاصطدام بثلاثة اشكال من الصعوبات ، و هي كالاتي :

* **الصعوبة الاولى** : تكمن في شمولية المفهوم ، حيث يرى بيرون انه رغم الجهود التي بذلتها "انا فرويد" فان مفهوم اليات الدفاع مازال موضوع جدال بين المحللين النفسيين ، و هو مايجعل استعماله التقني جد صعب

* **الصعوبة الثانية** : تكمن في مادة التقنية الاسقاطية مقارنة بفعالية الحصص التحليلية للتوصل الى الاليات الدفاعية ، بحيث يعترض بيرون على التناقض الوارد في ان المحلل النفساني يحتاج عدة حصص للتوصل الى الاليات الدفاعية التي يزعم الاخصائي التوصل اليها في ساعة واحدة من خلال التقنية الاسقاطية (شرادي .2011 :80)

* **الصعوبة الثالثة** : تكمن في ان معظم مطبقي الاختبارات الاسقاطية هم مختصين نفسانيين و ليسو محللين نفسانيين ، و عليه يفضل التعامل مع مصطلح اليات الدفاع بحذر ، و استخدام مصطلح اسلوب او نمط الدفاع للإشارة الى السلوك الحالي للفرد في وضعية اختبار(شرادي .2011 :81)

ب . **الاتجاه الثاني** : هو اتجاء الباحثة "فيكا شنتوب" ، و التي قامت بوضع بنود شبكة تحليل قصص لاختبار تفهم الموضوع مرتبطة باليات الدفاع رغم عدم التطابق الحرفي ، فاساليب بناء القصة تستجيب للعمليات الفكرية و الخطاب الذي يسمح ببناء قصة منطقية (سي موسي.زقار . 2015 : 83) ، في حين تستجيب اليات الدفاع في الوقت الحالي تماشيا مع نشاط اللذة (شرادي .2011 :83)

و رغم الاختلاف بين عبارات شبكة التحليل و مفردات اليات الدفاع القريبية منها في المعنى ، الا ان "شنتوب" تعتبرهما كوجهين لعملة واحدة ، فالتعرف على نوع البنود (السياقات) عند بناء قصة في اختبار تفهم الموضوع يساعد على معرفة الاليات الدفاعية المستعملة ، و هو ما جعل الاخصائيين الاسقاطيين يعتبرون هذه البنود او اساليب بناء القصة كصيغة اجرائية لاليات الدفاع (Gramer.2004 :87)

وبالتالي ، و رغم وجود اتجاهين مختلفين في تحديد مفهوم اليات الدفاع حسب التقنيات الاسقاطية ، الا ان هناك اتفاق مبدئي على عدم ملائمة مفهوم اليات الدفاع مع ما يستخرج بواسطة تحليل القصص المتحصل عليها عن طريق تطبيق التقنيات الاسقاطية ، سواء اطلق على هذا المفهوم اساليب او انماط الدفاع -حسب الاتجاه الاول- او اساليب بناء القصة - حسب الاتجاه الثاني- (Brelet.1986 :33)

ان الاسلوب المتبع في تحليل التقنيات الاسقاطية يتمثل في الاهتمام بشكل الاجابات و القصص المنسوجة من طرف المفحوص في وضعية الاختبار ، و بواسطة شبكة التحليل و من خلال اجابات المفحوص يتم التوصل الى فهم اساليب بناء القصة حسب "الانا" الذي يضيف تعديلاته ليتم بناء قصة جاهزة ذات محتوى ظاهري معبر عنه ، بعدما كانت عبارة عن محتوى كامن

(سي موسي.زقار .2015 : 84)

المحاضرة الثالثة عشر: تصنيف الاليات الدفاعية

اختلف الباحثين في علم النفس حول تصنيف و انواع الاليات او الميكانيزمات الدفاعية ، حيث يصنفها "لابلانز و بونتايس" الى 17 ميكانيزم ، أما بارجوري فيصنفها الى 25 ميكانيزم ، في حين يرى كل من Valenstein و Bibring الى انها تنقسم الى 43 ميكانيزم ، كما يرى Ionescu و اخرون انها تنقسم الى 29 ميكانيزم ، أما A.Freud فترى انه من الصعب تصنيف و تجميع هذه الميكانيزمات الدفاعية و جعلها في نظرية (Chabrol.Callahan.2004 :11) ، في حين توجه العديد من الباحثين الى تصنيفها في مجموعات حتى يسهل فهمها ، حيث قام Vaillant بتصنيفها الى 05 مجموعات هي :

- الميكانيزمات النزوية : و تضم الكبت ، التسامي ، التكثيف ، التكوين العكسي
- الميكانيزمات الموجهة للموضوع : و تضم الازاحة ، الاستبدال ، الانشطار
- ميكانيزمات تزييف الواقع : و تضم التخيل ، الرفض ، الانكار ، الالغاء
- الميكانيزمات الموجهة للأنف : و تضم الاسقاط ، النقص ، التفكك ، النكوص ، التحويل
- ميكانيزمات ازالة العقد بطريقة التحليل النفسي (L'abréaction) (Rosier.2009 :12)

و يصنفها الدليل التشخيصي و الاحصائي الرابع (DSM IV) الى قسمين اساسيين هما :

- الميكانيزمات الدفاعية التكيفية : و تضم مستويين :
- مستوى التكيف العالي : يضم ميكانيزمات الفكاهاة ، التسامي او الاعلاء ، التنبؤ ، القمع ، الغيرية ، الملاحظة الذاتية ، تأكيد الذات بالتعبير عن المشاعر .
- مستوى الكف العقلي : يضم الكبت ، الازاحة ، التكوين العكسي ، الالغاء ، العزل ، العقلنة ، التفكك

- الميكانيزمات الدفاعية غير التكيفية : و تضم
- مستوى اختلال التوازن الخفيف للصورة : يضم التسامي ، التكريه ، القدرة الكلية
- مستوى النفي : يضم الانكار ، الانكار من نوع اعلى ، الاسقاط ، التبرير ، التراجع

- مستوى الاختلال الأعظم للصورة : يضم الانشطار ، التماهي الاسقاطي ، الهوامية الاجترارية
- مستوى المرور الى الفعل (13: Chabrol.Callahan.2004)

و قد اعتمد بييري Perry على نفس المستويات السبعة للميكانيزمات الدفاعية الواردة في (DSM IV) ، الا انه اضاف مجموعة من الميكانيزمات حيث صار عددها الاجمالي 30 ميكانيزم (Perry.2004 :08)

- **الكبت (Réfoulement) :** يعبر الكبت بالمعنى الحرفي عن العملية التي يهدف من

خلالها الشخص الى دفع التصورات (افكار .صور.ذكريات) المرتبطة بالنزوة عنه الى اللاوعي ، و يحدث الكبت في الحالات التي يحدث فيها تهديد لاشباع احدى النزوات بالتسبب بالانزعاج اتجاه مطالب اخرى (لابلانن.بونتاليس.1987: 416) .

فالكبت هو محرك اساسي في اللاشعور ، فهو العملية التي تهدف الى حماية الانا بابعاد

التصورات المضادة لمبدأ الواقع الى حيز اللاشعور ، و ذلك لتجنب مايسبب اضطراب او توتر

(Leguen.1992:55) ، و يؤدي الكبت دورا هاما في النشاط النفسي ، فهو اول ميكانيزم اكتشفه فرويد في تاريخ التحليل النفسي ، و قد ارتبط في البداية بمصطلح الدفاع كونه يدخل في تكوين بقية الميكانيزمات الاخرى(سي موسي.زقار .2015: 26)

فقد استخدم فرويد في البداية مصطلح "الدفاع" ، ثم عدله مستخدما مصطلح"الكبت" بدلا منها ، و بعد

عدة ابحاث استخدم فرويد مصطلح الدفاع كوصف عام لجميع الحيل المستخدمة من طرف الانا في

حالات الصراع ، في حين استخدم مصطلح الكبت على طريقة الدفاع (Quinodoz.2004 :164)

ولقد ميز فرويد بين ثلاثة مراحل لعملية الكبت حيث يرى أن كل الأمراض النفسية تمر بـ ثلاثة مراحل

تتعلق الاولى بالكبت الاصلي ، و التي تهدف الى تكوين عدد من التصورات التي يتعاون معها الكبت

الحقيقي فيما بعد من خلال الجذب الممارس على المحتويات المكبوتة ، في حين تتعلق المرحلة الثالثة

بفشل الكبت و عودة المكبوت على شكل اعراض عصابية أو ذهانية

(Ali.1990 :03/ Autiquet.2011 :34)

اي ان الكبت الاصلي (الأولي) لا يكون على النزوة و انما على اشاراتها و تصوراتها التي لا تنفذ الى الوعي (Bourdin.2004: 35) ، بحيث تنشأ نواة اولى لاواعية تجذب اليها العناصر التي ستكبت لاحقا ، و هو مايسمى الكبت الفعلي (الحقيقي) ، ثم تكون عودة المكبوت على شكل احلام ، اعراض، هفوات...الخ (شرادي .2011: 53)

و ياتي الكبت من الانا الذي يرفض الامتثال لاوامر الانا الاعلى ، و التعاون لتحقيق الاستثمار النزوي المولد على مستوى الهو خوفا من صرامة الانا الاعلى و تانيبه الشديد (perron.1985 :174)، بحيث يرتبط الكبت الأصلي (Réfoulement originaire) بطاقة الاستثمار المضاد المؤدية الى طاقة هائلة تؤسس النفس (Bouhsira.Boileau.Janine.2008 :58)

ويمكن استعراض عملية الكبت من خلال السجل الثلاثي لما وراء علم النفس كما يلي:

- **من وجهة نظر موقعية :** في النظرية الاولى يرى فرويد ان الكبت هو ابقاء خارج الوعي و ذلك من خلال الرقابة ، اما في نظريته الثانية فيعتبر الكبت عملية دفاعية من طرف الانا تكون لاواعية جزئيا (لابلانث.بونتاليس.1987: 419)
- **من وجهة نظر اقتصادية :** يمثل الكبت عملية معقدة من سحب التوظيفات ، و اعادة التوظيفات ، و التوظيفات المضادة التي تنصب جميعا على ممثلي النزوة (vanier.2003 :74)
- **من وجهة نظر دينامية :** يتم التركيز حول اسباب الكبت ، اي كيف يكون اشباع النزوة يحمل اللذة الى حد اثاره الازعاج مما يؤدي الى عملية الكبت (Quinodoz.2004 :168)

ان الخبرات المؤلمة او المرفوضة -على المستوى الشعوري- تستمر في النشاط على المستوى الشعوري ، حيث يستثمر الانا كمية معتبرة من الطاقة لابقائه على المستوى اللاشعوري و نسيانه ، و رغم ذلك فان المكبوت يخلق تصورات بديلة مقبولة على المستوى الشعوري كاحلام ، بالاضافة الى بعض الاعراض التي تعبر عن تسوية بين اشباع بعض النزوات و الرغبات النفسية و اعاققتها (سي موسي.زقار . 2015 : 27) ، و بالتالي فان الكبت هو عبارة عن ميكانيزم دفاعي يكبح عن طريقة الواقع المرفوض ، و تتمثل الافكار المكبوتة في المواضيع المنزوعة من الانا ، و التي يستمر نشاطها داخليا ، فالكبت يجعل الصراعات النفسية اقل وعيا او غير واعية خاصة تلك التي تهدد وجوده كأنا متوازن (Leguen.1992 :37)

• الإسقاط (Projection) : يدل الإسقاط على العملية التي ينبذ فيها الشخص من ذاته بعض

الصفات و المشاعر و الرغبات و الموضوعات و يضعها في الآخر ، سواء كان هذا الآخر شخصا ام
شيئا (Rosier.2009 :21)

و "الإسقاط" هو عملية نفسية اولية يقوم فيها الشخص برفض الاحساسات و التصورات على مستوى أنه
و نسبها الى اشخاص اخرين كما يحدث في الحلم و الانتاج الاسقاطي ، حتى لا يشعر الانا انها تنتمي
اليه و يؤدي ذلك الى توتر على مستواه (Anzieu.Chabert.2007 :21) ، و يقل الفرد فيها من
توتراته الناتجة عن الشعور بالاحباط من نفسه او من العالم الخارجي (سي موسي.زقار.2015 : 28)

فالاسقاط الية دفاعية تهدف الى الحد من الصراع النفسي الداخلي ، فهو من الوجهة الاقتصادية يخضع
لمبدأ اللذة ، و مبدأ الثبات الذي يهدف الى خفض التوتر الذي يثيره المحتوى النزوي النابع من الهو و
المرفوض من طرف الانا الى ادنى مستوى ممكن، اما من الوجهة الديناميكية فهو يستخدم كوسيلة لنقل
الاثارات الداخلية التي لا تطاق الى الخارج (سي موسي.زقار.2015 : 29) ، فعن طريق الإسقاط يتم تحويل
الادراك الداخلي الى ادراك خارجي ، فهو حسب فرويد ادراك داخلي مكبوح يتعرض محتواه الى التشويه ،
او التسوية ليصل الى الوعي على شكل ادراك نابع من العالم الخارجي
(Anzieu.Chabert.2007 :19)

و تتفق الوظيفة الاقتصادية للإسقاط بالسماح ببلورة الطاقة النزوية الضرورية لأجل عملية الكبت
(Florence.1978:285)

و يجب التفرقة بين الإسقاط و الاجتياف ، بحيث انه في الاجتياف يأخذ الشخص الى داخل أنه
الموضوعات التي تعرض لها باعتبارها مصدر اللذة ، اما في الإسقاط فانه يطرد ما يسبب له الازعاج من
داخله الى الخارج (شرادي .2011 :59)

ومن خلال الإسقاط تتضح بعض البنى او السمات الاساسية للشخصية ، و هو المبدأ الذي تقوم عليه
التقنيات الاسقاطية ، حيث يمكن قراءة سمات طبع اي شخص و بعض منظومات سلوكه و انفعالاته تبعا
لقواعد التفسير الخاصة بنمط المادة او النشاط المطلوب منه.

(Castro.2002 :278)

• التماهي/التقمص (Identification) : هو عبارة عن عملية نفسية يتمثل الشخص بواسطتها

احد مظاهر او خصائص او صفات شخص اخر ، و يتحول كلياً او جزئياً تبعاً لنموذجه ، اذ تتكون الشخصية و تتمايز من خلال سلسلة من التماهيات (Rosier.2009 :21) ، بحيث يعتبر طريقاً للمعرفة ايضاً (Florence.1978:87)

واتخذ مفهوم التماهي في اعمال فرويد قيمة مركزية جعلت منه اكثر من مجرد الية نفسية ، حيث اعتبره العملية التي تتكون من خلالها الكائن الحي ، و لقد تلازم هذا التطور اساساً مع احلال عقدة الاوديب باثارها الانبثائية ، في راي فرويد من خلال النظرية الثانية للجهاز النفسي ان اركان هذا الاخير تتمايز انطلاقاً من "الهو" بواسطة التماهيات التي اشتقت منها هذه الاريكان (vanier.2003 :40)

ولا بد من التمييز بين التماهي و غيره من المصطلحات ، كالادماج و الاجتياف و الاستدخال، بالنسبة للادماج و الاجتياف ، هي نماذج اولية للتماهي او بعض اشكاله على الاقل ، حيث تعاش العملية العقلية و ترمز كعملية جسدية.

اما التمييز ما بين التماهي و الاستدخال فهو اكثر تعقيداً ، لأنه يأخذ بعين الاعتبار الخيارات النظرية التي تمس طبيعة ما يتمثل به الشخص ، فالتماهي يتم مع الموضوعات (موضوع كلي ، موضوع جزئي - سمة من موضوع-) ، اما الاستدخال فهو علاقة بين ذاتين ، حيث يتم التماهي بموضوع او جزء منه نتيجة لنوع العلاقة معه (Durieux.Oudinot.2008 :67)

وفي هذا الاطار نجد الانواع الاتية للتماهي ، و هي : التماهي الاسقاطي ، تماهي اولي ، التماهي بالمعتدي ، فقد قدمت ميلاني كلاين مصطلح "التماهي الاسقاطي" للتعبير عن الية تتمثل في هومات يقوم الشخص فيها بادخال شخصه الذاتي كلياً او جزئياً داخل الموضوع بغية الحاق الاذى به و امتلاكه و ضبطه (vanier.2003 :41)

و يتفق الاستعمال الكلايني لمفهوم "التماهي الاسقاطي" مع المعنى الحصري الذي يخصصه المحللون لتعبير الاسقاط ، اي نبذ مايرفضه الشخص في ذاته الى الخارج ، اي اسقاط ما هو سئ (Durieux.Oudinot.2008 :64) ، اما "التماهي الاولي" فهو اسلوب بدائي من تكوين الشخصية على غرار شخص اخر ، و يتلازم مع العلاقة التي يطلق عليها اسم الادماج الفمي (Florence.1978 :286)

ولا يقتصر تعارض التماهي الاولي مع التماهيات الثانوية التي تضاف اليه على كونه الاول من حيث التسلسل الزمني فقط ، بل ايضا في كونه لايقوم على علاقة بموضوع فعلي ، مما يجعله اقرب الى الاصل النشوي في العلاقة بالموضوع (لابلانث.بونتاليس.1997: 202)

وفي عام 1936 تكلمت " أنا فرويد " عن التماهي بالمعتدي كالية دفاعية ، اذ ترى ان تعرض الشخص لخطر خارجي (نموذج عن سلطة ما) فانه يتماهي مع المعتدى عليه ، و ذلك من خلال المحاكاة الفيزيكية او المعنوية لشخص المعتدي او من خلال تبني بعض رموز القوة الدالة عليه ، و تسود هذه الالية المرحلة التمهيدية لتكوين الانا الاعلى ، حيث يظل العدوان موجها نحو الخارج لأنه لم يرتد على الشخص ذاته على شكل نقد ذاتي (Freud A, 2001 : 101) .

• **الخيال (Le Fantasme) :** يأخذ الخيال حيزا كبيرا من الطاقة النفسية ، اذ أنه يتمثل في عملية بناء ، بحيث يسمح للفرد بالتكيف مع النظام الاجتماعي كتسوية للواقع حتى تصبح افعاله و افكاره ممكنة ، و يتغذى الخيال من النزوات الممنوعة من طرف المجتمع (Rosier.2009 : 19) ، و يعتبر الحلم أحد نماذج الخيال بخضوعه للسيرورات الأولية (Fanguin.2009 : 23) ، بحيث يعتبر التكتيف أحد ميكانيزمات عمل الحلم ، اذ يساهم في تشويه الأفكار الكامنة حتى يسمح لها بالظهور على ساحة الشعور (شرادي.2008 : 29)

فالتكتيف يوضح توظيف اللاشعور حسب نماذج من العمليات الأولية (Vanier.2003 : 17) ، بحيث أن الأنا في الحلم يوجه اللبيدو بشكل متكيف مع متطلبات مبدأ الواقع ، و ذلك عن طريق اختصار كل العناصر التي تتعارض مع هذا المبدأ و تقديمها في شكل برئ حتى تفلت من الرقابة (شرادي.2008 : 30) .

• **النكوص (Régession) :** هو عبارة عن عملية نفسية تعني التراجع الى اساليب من التعبير و التصرف ، ذات مستوى ادنى من التعقيد ، البناء و التمايز (لابلانث.بونتاليس.1997: 555) ، اي هو الرجوع في اتجاه معاكس فيما يخص مسار النمو ، من نقطة ثم الوصول اليها الى نقطة تقع قبلها ، اذ يرجع الفرد الى مراحل سبق ان تجاوزها في نموه (شرادي .2011: 60)

ميز فرويد بين ثلاثة انواع من النكوص و هي :

- النكوص الموقعي (Régression topique) : و يتم هذا النوع من الوعي الى اللاوعي ، و يحدث هذا النوع في الحلم ، حيث يتم ابتكار صورة حسية تقريبا هلوسية نتيجة لفرض الطاقة اللبديية
- النكوص الشكلي (Régression formelle) : وفيه يتم استبدال اساليب التعبير و التمثيل التصوري باساليب اكثر بدائية ، كالانتقال من العمليات الثانوية الى العمليات الاولية.
- النكوص الزمني (Régression temporelle) : و يمثل تنشيط مراحل تم تجاوزها من حيث التنظيم اللبدي ، بحيث ان النكوص يفرض تتابع تكويني (Ali.2004 :126)، اذ يدل على عودة الشخص الى مراحل سبق ان تجاوزها في نموه. و هنا يميز فرويد بين عدة اشكال من النكوص تبعا لمسارات تكوينية مختلفة ، فهناك نكوص على مستوى الموضوع ، نكوص على مستوى المرحلة اللبديية ، و نكوص على مستوى تطور الانا (لابلاش.بونتاليس.1997: 357)

ويرى DUBOR -نقلا عن بارجوري- ان النكوص الية دفاعية لا تقتصر على تجنب اللذة او التصورات المهدة للأننا دائما ، اذ لها بعد اصلاحي من خلال تعزية و مواساة الانا عند رجوعه الى مراحل سابقة تتعلق بصدمة ما (Bergeret .1982 :105) .

وتطرفت " انا فرويد " الى نكوص النزوات و نكوص الانا و الانا الاعلى ، بحيث تعتبرها سياقات طبيعية ضرورية للنضج ، فهي استجابة للنزوات التي تبرز من حين لآخر ، كما انها تخدم الدفاع و التكيف في نفس الوقت ، كما ترى ان هذا النكوص يكون مفيدا عندما يكون مؤقتا و عفويا ، اما اذا كان هذا النكوص دائما فقد يفقد طابعه المفيد للنمو النفسي الطبيعي و يصبح مرضيا (سي موسي.زقار .2015 : 31)

و باختصار فان النكوص هو عبارة عن عملية نفسية تتضمن مسار معاكس لاتجاه النمو و ذلك لتجنب التوتر و الحفاظ على توازن الانا (شرادي .2011: 64)

- النقل / الازاحة (Déplacement) : هو عبارة عن الية تنتقل من خلالها الطاقة النفسية من مضمونها الحقيقي الى موضوع ثانوي ، بحيث يرى "لاغاش" ان كل عنصر ظاهري يتعلق بعدة أفكار كامنة ، و الطاقة العاطفية تتسلخ من مضمونها الحقيقي لتتبلور حول موضوع ثانوي

(شرادي .2008 : 32)

و يعتبر النقل ميكانيزم بدائي يرتبط بالعمليات الاولية ، بحيث يتم فيه :

-فصل التصورات المزعجة لنزوة مرفوضة عن الوجدانات المتعلقة بها.

-نقل الوجدانات الى تصورات اخرى اقل ازعاجا ، لكن ترتبط بالتصورات السابقة باحد

عناصرها (Bergeret.1982 :97)

اي انها قابلة انفصال بشدة تصور للارتباط بتصورات اقل شدة ، و على ارتباط به من خلال احدى سلاسل الارتباط (Rosier.2009 :16) ، و لهذا الميكانيزم وظيفة دفاعية ، بحيث يحدث بتأثير من الرقابة ، اي من طرف الدفاع النفسي الداخلي من اجل تجنب التوتر و القلق و الاحباط

(شرادي .2011 :66)

وتستند النظرية التحليلية للنقل على فرضية اقتصادية مفادها ان طاقة التوظيف قابلة للانفصال على تصوراتها الاصلية كي تتناسب على طول خطوط الترابط ، بحيث تشكل الازاحة /النقل الحر لهذه الطاقة احدى الخصائص الرئيسية للعملية الاولية ، كما تحكم النشاط الوظيفي لنظام اللاشعور

(vanier.2003 :22)

و تجدر الاشارة الى ان عملية النقل/الازاحة لا تنتشط فقط على مستوى العمليات الاولية ، اذ نجدها كذلك على مستوى العمليات الثانوية ، لكن تكون محدودة في مسارها و تنصب على كميات قليلة من الطاقة (لابلانن.بونتاليس.1997 :63)

• **العزل (Isolation) :** هو عبارة عن الية دفاعية تميز العصاب الهجاسي بشكل نموذجي ، و

يتمثل في عزل احد الافكار او التصرفات وصولا الى قطع روابطه ببعض الافكار الاخرى ، او قطع الرابط بينه و بين بقية وجود الشخص ، و من بين عمليات العزل نجد حالات التوقف الوقت في مجرى التفكير او الصيغ او الطقوس...و غيرها من الاجراءات التي تتيح اقامة هوة في التسلسل الزمني للافكار او الافعال (لابلانن.بونتاليس.1997 :327)

فالعزل يمنع قيام العلاقة المقلقة بين الموضوع و الافكار أو التصورات ، و يلجأ اليه الانا عندما لا يكفي بالكبت ، لذا يسمى الانتشار الوظيفي " Clivage fonctionnel " (Bayle.2012 :74)، و يرى

بيرون ان العزل هو العملية التي يظهر من خلالها تصوران بدون اي حساب يذكر ، او يكون التصور بدون اي ثقل او شحنة انفعالية (perron.1988 :190)

ويكمن العزل في تقبل تصور بعد فصله عن صبغته الوجدانية ، اي ان هذا الميكانيزم يدور حول عزل الوجدانات ، و نجد في العزل نوعا من الكبت الجزئي بحيث ان الاحساس غير القابل للتحمل و المرتبط بتصور او فكرة ما يظهر على شكل عقلنة ، فالعزل يجرد التصورات من صبغتها الوجدانية حفاظا على أمن الانا (شرادي .2011 :68) ، و يستخدم هذا الميكانيزم بكثرة لدى المصابين بالعصاب الاستحوادي (Vanier.2003 :45)

• **الالغاء (Annulation):** هو الية نفسية يسعى الشخص من خلالها ان تصبح بعض الافكار ، او الكلام ، او الحركات او الافكار الماضية و كأنها لم تكن اصلا ، و هو يستخدم لهذا الغرض تفكييرا او تصرفا لها معنى مضاد (Rosier.2009 :20)

قدم فرويد موجزا للالغاء في "رجل الفئران" ، و يرى ان معناه وجود صراع بين توجيهين متعارضين و متساويين في شدتهما تقريبا ، و في كتابه "الصد ، العرض و القلق :1926" يرى 96بيد وال الية الالغاء هي اضافة لالية العزل ، و تكون ناشطة في العصاب الهجاسي.

و عموما هناك مستويين من الصراع النفسي ، يكون المستوى الاول على الصراع بين النزوات بحيث يكون التجاذب مابين الحب و الحقد ، اما المستوى الاخر للصراع يكون بين النزوات و بين الانا ، بحيث يحاول الانا ايجاد حليف له في نزوة تتعارض مع تلك التي يحمي ذاته منها

(لابلاننش.بونتاليس.1997 :95)

• **الانكار (Déni) :** هو وسيلة يلجأ اليها الشخص الذي يبوح باحدى رغباته او افكاره او مشاعره التي كانت مكبوتة حتى تلك اللحظة ، و في نفس الوقت يستمر بالدفاع عن نفسه ضدها من خلال انكار تبعيتها له (Bayle.2012 :80)

و يعد الانكار الية دفاعية اكثر قدما من الكبت ، بحيث ان التصور النزوي المزعج لا يكبت ، و يظهر على مستوى الوعي ، الا ان الشخص يدافع ضده رافضا الاعتراف بان الامر يتعلق بنزوته الخاصة (Bergeret.1982.95) ، بحيث يتجلى الانكار في رفض وجود تصورات مزعجة يقوم الانا بالوعي بها ، و في نفس الوقت ينكر انتسابها له (شرادي .2011 :70)

و لقد قدم فرويد في مقاله حول الانكار (1925) شرحا ميتاسيكولوجيا دقيقا ، بحيث عرض 03 توكيدات تتمثل في :

-الانكار هو وسيلة لوعي المكبوت

-ان ما يلغى هو فقط احدى نتائج عملية الكبت ، اذ ان المحتوى التصوري لا يصل الى

الوعي ، و ينتج عن ذلك قبول فكري بالمكبوت امام استمرار جوهر الكبت على حاله.

-يتحرر الفكر من قيود الكبت بواسطة رمز الانكار

انطلاقا من هذا و بالنسبة لفرويد فان لمصطلحي "الانكار" و "النفى" في التحليل النفسي نفس الاصل و المعنى (لابلاننش.بونتاليس.1987 :130) ، و يعبر النفى (Dénégation) عن نموذج سلبي للرغبة من التفكير المكبوت ، اذ يرى 97بيد وال مظاهر الكبت تتوضح اكثر من خلال الرفض (Vanier.2003 :21) ، و يتركز الانكار على العالم الداخلي في حين يتركز النفى على العالم الخارجي

(castro.2002 :277/278)

• الانشطار(Clivage) : يستعمل مفهوم الانشطار للدلالة على واقعة انقسام الانسان على

نفسه ، حيث توصل كل من جانبيه و بروير و فرويد الى فكرة تواجد مجموعتين من الظواهر او حتى شخصيتين يمكنهما تجاهل بعضهما البعض ضمن النفس الانسانية.

و يشير الانشطار الى تواجد موقفين نفسيين ضمن الانا اتجاه الواقع الخارجي باعتباره يشكل العقبة التي تعرقل مطلب نزوي معين ، يأخذ احد الموقفين الواقع بعين الاعتبار ، بينما ينفي الموقف الاخر هذا الواقع مستبدلا اياه باحد منتجات الرغبة ، و يستمر هذان الموقفان جنبا الى جنب دون ان يمارسا اي تأثير متبادل على بعضهما (سي موسي.زقار .2015 : 35)

يستعمل بروير مصطلح الانشطار للدلالة على العرض الاساسي للفصام ، اما جانبيه فيرى ان انشطار النفس الى مجموعات من الترابطات المتميزة عن بعضها البعض كوسيلة لاعادة تجميع ثانوية لشتات عالم نفسي متفكك نتيجة الضعف الترابطي الاولي (Bayle.2012:36) ، بينما يركز فرويد على فكرة انشطار الانا ، بحيث يرى ان في الذهان يتم العثور على موقفين نفسيين متواجدين معا ، الموقف الاول و هو السوي يأخذ الواقع بعين الاعتبار ، اما الثاني فانه يفصل الانا عن الواقع و هو ما يترجم من خلال الهذيانات (Bourdin.2004 :52)

فالانشطار ليس دفاعا صادرا عن الانا ، بل هو طريقة للحفاظ على تواجد دفاعين يتجه احدهما نحو انكار الواقع ، بينما يتجه الاخر نحو النزوة ، و هو ما يمكن ان يؤدي الى تكوين اعراض عصابية (سي موسي.زقار.2015 : 36)

و في اطار الانشطار ، تكلمت ميلاني كلاين عن الية "انشطار الموضوع" ، بحيث ترى ان هذه الالية هي الدفاع الاكثر بدائية ضد القلق ، حيث يتم شطر الموضوع المستهدف الى موضوع "طيب" و موضوع "سيئ" ، و يتخذ فيما بعد كل موضوع منهما مسارا مميزا (Rosier.2009 :19) ، و ينشط انشطار الموضوع خاصة في الوضعية شبه العظامية-شبه الفصامية ، حيث ينصب على موضوعات جزئية ، كما ينشط ايضا في الوضعية الخورية و ذلك على الموضوع الكلي.و يتوازي انشطار الموضوعات بانشطار في الانا الى "أنا طيب" و "أنا سيئ" ، بحيث ترى كلاين ان الأنا يتكون في الاساس نتيجة اجتياف الموضوعات (Quinodoz.2004 :280)

و يعتبر انشطار الموضوع دفاع موجه ضد قلق فقدان الموضوع ، لذا لا ينفع معه الكبت الذي يتطلب ارضا كبيرا ، ولا انشطار الانا الذي يستثمر كمية طاقوية ، بحيث وضح 98بيد وال الانا لكي لا يتضاعف يلجأ الى التحوير و يستمر في النشاط ، لكن بتميز مجالين في العالم الخارجي ، يكون الاول تكيفي فيتعامل معه الانا بكل حرية ، اما الثاني فيكون اتكالي تقتصر علاقة الانا معه على التبعية و التحكم.

اما بالنسبة للموضوع فهو يميز في موضوع واحد صور هوائية سلبية و مخيفة احيانا ، و احيانا صور هوائية ايجابية و مطمئنة للوصول الى تصالح بين الصورتين المتعاكستين (Bergeret.1982.101)

• **العقلنة (Intellectualisation)** : هي عملية يحاول الشخص من خلالها اعطاء

صيغة منطقية لصراعاته و انفعالاته بغية السيطرة عليها ، و من اهم المحللين الذين تناولوا بالتفصيل هذه الالية نجد " انا فرويد" و التي ترى انها عملية سوية يحاول الانا بواسطتها السيطرة على النزوات من خلال ربطها بافكار يمكن التعامل الواعي معها ، و بهذا فان هذه الالية تعتبر من اهم القدرات المكتسبة و اقدمها و اكثرها ضرورة للانا الانساني (لابلانن.بونتاليس.1997: 365)

و يقارب مفهوم "العقلنة" من اليات اخرى خاصة التبرير ، فالعقلنة تهدف الى ابعاد التأثيرات العاطفية و تحييدها ، اما التبرير فهو لايتضمن تجنب المؤثرات العاطفية ، و انما يقدم دوافع معقولة اكثر منها حقيقية ، اي يعطي تبريرا عقلانيا او مثاليا لاي سلوك (لابلانن.بونتاليس.1997: 366)

فالتبرير هو عملية يحاول الشخص من خلالها تقديم تفسير متماسك من وجهة نظر منطقية ، او مقبول من وجهة نظر خلقية لموقف او فعل او فكرة او شعور .

ولا يندرج التبرير بين اليات الدفاع رغم وظيفته الدفاعية ، و ذلك لأنه لا يتوجه مباشرة ضد الاشباع النزوي ، بل يقوم بتمويه ثانوي لمختلف عناصر الصراع الدفاعي ، و يستند التبرير على الاخلاق الشائعة ، العقائد و الدين ، القناعات السياسية...الخ ، اذ ان فعل الانا الاعلى ياتي لتعزيز دفاعات الانا (لابلانن.بونتاليس.1997: 152)

• **التكوين العكسي (Formation Réactionnelle)** : هو موقف او مظهر نفساني خارجي

يذهب في اتجاه معاكس لرغبة مكبوتة و يشكل رد فعل ضدها ، و هو من الناحية الاقتصادية توظيف مضاد لعنصر وواع مساو في القوة و متعارض في الاتجاه للتوظيف اللاواعي (Rosier .2009 :16)

فالية التكوين العكسي تتمثل في معارضة النزوة (Castro.2002 :277) ، كأن يخفي النشاط الشرجي وراء قناع النظافة المفرطة (لابلانن.بونتاليس.1997: 196) ، و يؤكد فرويد في "ثلاث مقالات حول نظرية الجنس : 1905" دور التكوينات العكسية في نمو كل فرد انساني ، بحيث انها تنشأ خلال مرحلة الكمون جنبا الى جنب مع التسامي ، بحيث ان الاثار الجنسية توقظ قوى مضادة اي حركات عكسية تقيم سدودا نفسية لقمع الانزعاج الناتج عن هذه الاثار مثل الحياء ، الاشمئزاز ، التزمت الخلقى (لابلانن.بونتاليس.1997: 197)

• **المثلثة (Idéalisation)** : هي عملية نفسية نرفع بواسطتها صفات و قيمة الموضوع الى مرتبة الكمال ، و تختلف عن التسامي في :

للتسامي : هو عملية تخص "ليبدو الموضوع" و تتمثل في توجه النزوة نحو هدف اخر بعيد عن الاشباع الجنسي (Mellor.2012 :10) ، حيث اطلق فرويد مصطلح التسامي على النشاط الفني و الاستقصاء الذهني (Balint.2000 :147)

المثلثة : عملية تخص الموضوع الذي يضخم من خلالها و يعظم نفسيا دون ان تتغير طبيعته ، و قد تكون في ليبدو الموضوع و في ليبدو الانا .

و تؤكد "ميلاني كلاين" على الدور الدفاعي للمثلثة ، فهي الية دفاعية تحمي نرجسية الفرد (Bayle.2012 :94)، بحيث ان مثلثة الموضوع هي اساسا دفاع ضد النزوات التدميرية ، و تتلازم مع الانشطار بين الموضوع الطيب المتعرض للمثلثة ، و الموضوع السيئ المتعرض للاضطهاد (لابلان.بونتاليس.1997: 465)

Relation objectale **العلاقة بالموضوع**

المحاضرة الرابعة عشر: العلاقة بالموضوع عند روني سبيتز

تعريف العلاقة بالموضوع

تعرف العلاقة بالموضوع على أنها نوع الصلة التي يكونها الطفل مع محيطه، فحسب فرويد فهي تتغير وتكتسي خصائص المراحل اللببية التي يمر بها الطفل خلال نموه، أما حسب روني سبيتز فقام بدراسة الشخصية من خلال التركيز على أهمية المحيط، التربية، العناية الوجدانية والانفعالية، أدى به هذا الى دراسة موضوع الحرمان العاطفي (الحرمان من عناية الام أو بديلها)، وهذا يصب في الاهتمام الكبير بنوعية العلاقة (ميموني، 2001، ص 156)

نظرية روني سبيتز R. Spitz

روني سبيتز طبيب عقلي ومحلل نفسي امريكي من أصول نمساوية، ولد بفيينا سنة 1887 وتوفي عام 1974، درس الطب وتحصل على الدكتوراه عام 1910 من جامعة بودابست، اكتشف التحليل النفسي اثناء دراسته وكذا ارتباطه مع اعضاء جمعية التحليل النفسي وخصوصا فيرينتزي الذي شجعه على القيام بدراسة وتعلم التحليل النفسي الفرويدي في فيينا، شغل منصب طبيب عسكري خلال الحرب العالمية الثانية، وفي عام 1924-1928 أصبح عضوا في جمعية التحليل النفسي بفيينا ثم ببرلين، أجرى أول بحث له حول الطفل، من 1932-1938 درس التحليل النفسي ونظريات نمو الطفل في المدرسة العليا للمعلمين وقدم مجموعة من المحاضرات في اطار جمعية التحليل النفسي، شارك في المؤتمر الثامن للتحليل النفسي بباريس عام 1933، عام 1939 هاجر الى الولايات المتحدة الامريكية وشغل منصب طبيب نفسي بمستشفى ماونت سيناي في الفترة 1940-1943، كان أستاذا محاضرا بعدة جامعات، وفي عام 1967 أصبح استاذا بجامعة كولورادو، واصل نشاطه وتعليمه للتحليل النفسي وابحائه حول الطفل، انضم الى جمعية دينفر للتحليل النفسي وكان رئيسا بها عام 1962-1963، وفي عام 1945 اصبح المحرر الرئيسي لمجلة " دراسة التحليل النفسي للطفل" التي أسستها أنا فرويد وهارتمان

درس روني سبيترز النمو النفسي الانفعالي للطفل من الميلاد الى سنتين وخصوصا في علاقته بأمه (العلاقة بالموضوع) ، وسلط الضوء على موضوع داء المصحات hospitalisme والخور الاتكالي La dépression anaclitique . وبدا بدراسة الشخصية من خلال التركيز على اهمية المحيط، التربية، العناية الوجدانية والانفعالية، هذا ادى به الى دراسة الحرمان العاطفي (عناية الام او بديلها) وهذا يصب في الاهتمام الكبير بنوعية العلاقة

يرى سبيترز أن العلاقة بالموضوع (الموضوع الليبيدي) يتطور وفق 4 مراحل وتحت تأثير 3 منظمات مهمة في النمو وهي كالتالي

المرحلة الاولى : مرحلة اللاتمايز : الميلاد الى 2 شهر

ما يميز هذه المرحلة أن الطفل لا يدرك الموضوع ولا يميزه، ويعتبره امتدادا له ، ولا يدركه الا عند الحاجة (يكون تحت سيطرة الهو)

المرحلة الثانية: مرحلة بداية تمايز الموضوع (ظهور الابتسامة لمنظم اول للنمو) 3 اشهر -8 اشهر

ما يميز هذه المرحلة هو ظهور الابتسامة التي تكون في الشهر الثالث من ميلاد الطفل والتي تكون في البداية موجهة للجميع، فابتسام الطفل يعني أنه تعرف على الوجه المفضل (الانسان) حتى ولو كان قناعا، كما أنه ينتبه للرموز المتحركة
ظهور الابتسامة تعني أنه يوجد:

* أنا بدائي ، وموضوع بدائي مما يعني بداية تمايز الانا عن الهو

* بداية ادراك المحيط الخارجي والاستجابة له

* الذاكرة بدأت تسجل

يعتبر سبيترز الابتسامة منظم أول للنمو لأن حولها تلتف مجموعة من التغيرات والتطورات في نفسية الطفل. (سعد جلال، 1998، ص 193)

المرحلة الثالثة : مرحلة الموضوع الليبيدي (ظهور قلق الشهر 8 كمنظم ثاني للنمو): 8-15 شهر

نلاحظ أن الرضيع في هذه المرحلة يبكي بمجرد رؤية غريب عنه بمعنى ان الغريب يثير لديه قلق ، اضطراب، خوف وخجل ، هذا يعني ان:

* تطور وظيفة اساسية للانا وهي وظيفة الحكم، اي ان الطفل اصبح يميز بين المألوف والغريب

* تمايز الانا عن الاخر اي بين ذاته وذات الاخر، بمعنى تطور لدى الطفل مفهوم الانا والاخر (يتكلم بولي في هذه المرحلة عن قلق التفريق او الانفصال)

* كون وتعرف وادرك اهمية الام كموضوع ليبيدي

* تراجع مبدأ اللذة وتطور مبدأ الواقع

* تكوين بنية نفسية وادماج النزوة الليبيدية والعدوانية بفضل تطور الانا، والمرور من المرحلة النرجسية الى مرحلة العلاقة بالموضوع، لكن علاقته بالموضوع تعاش ك أساسي للبقاء ويخاف فقده، واذا ما فرق عن الموضوع في هذه المرحلة فان الرضيع ينهار ويدخل فيما يسمى بالحرمان العاطفي

يعتبر سببتر أن ضياع الموضوع يؤدي الانا ويشكل صدمة نرجسية لها نفس الهمية من فقدان عضو أو جزء من الجسم

* تمايز الانا عن الهو وتكوين الوظائف الكبرى الاساسية (ادراك، ذاكرة، انتباه، تمييز)

* تكوين بنية نفسية تسمح له بتكوين أنا قادر على التعبير عن وجوده والتعرف والتواصل مع العالم الخارجي (يغضب، يفرح...)

* كلما زادت معرفة الطفل بذاته زادت معرفته بالموضوع والاخرين

لذلك يعتبره روني سببتر من منظمات النمو (محمد اسماعيل، 1996، ص 189)

المرحلة الرابعة: مرحلة بداية التواصل غير اللفظي (ظهور المعارضة بحركة الرأس لا كمنظم ثالث للنمو) : 15 شهر - 24 شهر

تتزامن هذه المرحلة مع دخول الطفل الى عالم اللغة والاتصال، ويتطور لديه التحكم في الحواس (التنسيق الحسي الحركي)، نلاحظ في هذه المرحلة أن الطفل بدأت تظهر لديه اشارات بالرأس تعبيراً عن رفضه (لا) ويستعمل الكلمات الشاملة مما يعني أن الطفل:

* دخل الى ميدان اللغة والاتصال وابدال الحركة باللغة والرموز (الدخول الى الرمزية 18 شهر حسب بياجيه)

* استعمال الوظائف العليا تسمح له بالتكيف والحكم في المحيط وبالتالي تكوين علاقات اجتماعية وانسانية

* تعتبر وسيلة تدل على تطور الانا الذي بدأ يستعمل اللغة لاثبات الذات

باختصار: تعتبر هذه المنظمات (الابتسامة، قلق الشهر 8، المعارضة بحركة الرأس (لا)) أساسية ويجب على الطفل المرور بها، فهي متكاملة مع بعضها البعض، وغياب الاول يمنع ظهور الثاني، وكل مرحلة تهيؤ لظهور الاخرى، كما تعبر هذه المنظمات عن مستوى في التطور النفسي والعلائقي والوعي بالموضوع والذات الذين يكونون بطريقة متزامنة ومتكاملة

(Spitz, 1979, p 55)

المحاضرة الخامسة عشر: العلاقة بالموضوع عند ميلاني كلاين

التعريف بميلاني كلاين M.Klein

هي محللة نفسانية ورائدة في مجال التحليل النفسي للاطفال، ولدت سنة 1882 بفيينا من اسرة يهودية، كانت اصغر اخوتها وكانت متعلقة بامها تعلقا شديدا، درست الطب لكنها لم تدرس علم النفس او الطب النفسي الا صدفة قبيل الحرب العالمية الاولى، قرأت كلاين أحد كتب فرويد فاعجبها اسلوبه في التحليل النفسي، فطلب من المحلل النفسي فيرنزي أن يحلل شخصيتها ودوافعها على المستوى الشعوري والاشعوري للتعرف على صراعاتها واحباطاتها الدفينة التي يمكن أن تعيق عملها في التحليل مستقبلا، انتسبت الى رابطة التحليل النفسي في بودابست عام 1919 وانتخبت عضوا في تلك الرابطة، كتبت بحثها الاول عام 1921 حول نمو الطفل، وفي عام 1926 سافرت الى لندن واستقرت هناك وانشأت مدرسة اسمتها المدرسة البريطانية في التحليل النفسي، وفي عام 1932 اصدرت كتابها التحليل النفسي للاطفال الذي هدفت من خلاله الى خلق منهج تحليلي خاص بالاطفال كالمنهج الذي اتى به فرويد مع الراشدين، وصممت من اجل ذلك حجرة خاصة بسيطة الاثاث وزودتها باللعب والدمى ومهمتها مراقبة الطفل في اختيار لعبه وطريقة تعامله معها، توفيت عام 1960

من مؤلفاتها: التشخيص بواسطة اللعب عند الاطفال عام 1929

المراحل المبكرة لعقدة اوديب عام 1928

النمو او التطور المبكر للوعي عند الطفل عام 1933

حسب ميلاني كلاين يمر نمو العلاقة بالموضوع بثلاث مراحل نوجزها فيما يلي

1. المرحلة الفصامية البرانويدية: الميلاد الى 6 اشهر

ترى كلاين أن للرضيع أنا بدائي منذ الميلاد (عكس فرويد الذي يرى أن نموه يكون مع نهاية المرحلة الفمية وبداية المرحلة الشرجية) ، ويدرك الموضوع جزئيا (ثدي الام) ، وبوجود الانا بامكان الطفل استعمال اليات دفاعية بدائية تعمل على اساس الاستهجمات Les fantasmes (Golse, 2015, p 56)

سميت هذه المرحلة فصامية لان الطفل يستعمل آلية دفاعية هي الانشطار Clivage وتعني أنه يجزء الموضوع الجزئي الى موضوع طيب (ثدي مغذي) ، وموضوع سيء (ثدي محبط ومضطهد) وسميت برانويدية لانه يستخدم أليتين دفاعيتين هما الاسقاط projection والاجتياف Introjection، بحيث يسقط الموضوع السيء الى الخارج (من خلال البكاء او القيء) ، ويجتاف الموضوع ويدخله ويعتبره جزءا منه ويقوم بحمايته والمحافظة عليه ، ويعيش الطفل قلق اضطهادي ناتج عن كرهه للموضوع السيء المضطهد الذي يقوم باسقاطه (الكره اكبر من الحب) (Roger, 2004, p 52)

2. المرحلة الانهيارية : 6 اشهر الى السنة الاولى

يقوم الطفل في هذه المرحلة بادراك الموضوع ككل (الام) ويعيش تناقضا وجدانيا (حب وكره في نفس الوقت) ، ويدرك ان الموضوع الجيد (أم جيدة مغذية مشبعة) الذي قام باجتيافه واعتباره جزءا منه وحماه هو نفسه الموضوع السيء (أم سيئة مضطهدة غير مشبعة) الذي قام باسقاطه والعمل على تحطيمه ،بمعنى انه وصل الى توحيد الموضوع واجتياف كل من الموضوع السيء والجيد فيعيش قلقا بسبب خوفه من عدوانيته ونزواته التدميرية أن تحطم الموضوع الجيد الذي يحبه ويخضع له داخليا ، كما انه يكتشف تبعيته الكاملة له ورغبته الشديدة في امتلاكه والحفاظ عليه وحمايته من كل شيء يدمره هذا من جهة، ومن جهة اخرى يخاف من أن يعاقبه الموضوع على دوافعه العدوانية (يتزامن مع الفطام الذي يعتبره كعقاب له عن نواياه العدوانية) و كلتا الحالتين يخشى فقدان الموضوع الذي يعتمد عليه لذلك يعيش الطفل قلق أسمته كلاين بالقلق الاكتتابي و يعيش حالة انهيار ، و هنا تظهر أهمية الشعور بالذنب

و الشعور بالعجز أمام الخوف من فقدان و الانفصال ، فالشعور بالذنب هو مظهر يدل على أن الطفل كون هيئة مهمة في النمو النفسي و هي الأنا الأعلى (Golse, 2015, p 58)

و في هذا الصدد تقول كلاين " في هذه المرحلة الأنا تصل إلى مرحلة جديدة تسمى مرحلة فقدان الموضوع ، هذا فقدان لا ينظر إليه على انه فقدان كلي قبل أن يكون موضوع كلي محبوب " وهنا يظهر الموقف الانهياي الذي يعني ان الام اصبحت موضوعا كاملا لكنها تبقى محببة ومكافئة في ان واحد (كلاين، 1994، ص98)

فظهور الاكتئاب لدى الراشد حسب ميلاني كلاين يكون نتيجة عدم القدرة على توحيد الموضوع والتثبيت في مرحلة اجتياف الموضوع السيء ومن خلال عدوانيته فانه يحطم هذا الموضوع وبالتالي يحطم ذاته

3. مرحلة تقبل وتوحيد الموضوع : السنة الاولى فما فوق

سيرورات الحداد المرتبطة بالوضعية الاكتئابية تتأثر بالتجارب الايجابية مع الموضوع الحقيقي ، و الطرق التي يتخذها الطفل للتغلب على قلقه و مخاوفه و التحقق من أن تخيلاته التدميرية غير حقيقية ، لذلك حتى يتحقق بناء موضوع جيد داخليا لا بد من الانفصال الفعال أين يعيش الطفل و الموضوع كوحدين متكاملتين و منفصلتين في الوقت نفسه (في هذه المرحلة يدرك الموضوع كليا و يتقبله بايجابياته وسلبياته وكذا يتقبل غياب الموضوع دون وجود اضطراب) ، وعليه يمكن القول أن المرحلة الاكتئابية تساعد الطفل على إنشاء داخل أنه موضوع كامل وثابت (Houzal, 2000, p686)

المحاضرة السادسة عشر: العلاقة بالموضوع عند مارغريت ماهلر

التعريف بمارغريت ماهلر M.Mahler

مارغريت ماهلر طبيبة عقلية ومحللة نفسانية للطفل ولدت سنة 1900 وتوفيت سنة 1985، قامت بإنشاء أول مركز للإرشاد النفسي التحليلي للأطفال بفيينا، استقرت بالولايات المتحدة الأمريكية أين درست الطب العقلي بالجامعة عام 1955، برزت كمحللة نفسانية، وكطبيبة عقلية وكباحثة خصوصا في مجال نظريات النمو النفسي الانفعالي للطفل، ارتكزت اعمالها حول ذهان الطفولة وخصوصا الذهان التكافلي

نظرية مارغريت ماهلر

ارتكزت ماهلر في نظريتها حول النمو النفسي الانفعالي للطفل على نظرية فرويد ، كما ادمجت مفاهيم نظرية هارتمان Hartmann، وكريس Kris حول وجود أنا بدائي لدى الرضيع (Golse,2015,p79)، اهتمت ماهلر بملاحظة الرضع وامهاتهم بهدف دراسة طبيعة العلاقة بينهما ومدى تأثيرها على النمو النفسي الانفعالي لدى الرضيع، واعتبرت أن نمو العلاقة بالموضوع يمر بثلاث مراحل هي:

1. **المرحلة التوحيدية:** الطفل في هذه المرحلة يعيش حالة لا تمايز بينه وبين الموضوع ويعتبره جزءا وامتدادا له فمن خلاله يلبي حاجته البيولوجية (كالغذاء مثلا) وحاجاته النفسية (كالحب، الاهتمام، الحماية) وهي حاجات تضمن بقاءه .
2. **المرحلة التكافلية:** يعيش الطفل علاقة ثنائية انكالية انكائية مع الموضوع، فالطفل قد أدرك أن هناك اختلاف بينه وبين الموضوع الذي يعتبره ضروري لبقائه وأي انفصال أو تهديد بالانفصال فان الطفل يدخل في حالة انهيار لذلك يعيش قلق الخوف من فقدان الموضوع (Roger, 2004, p 60)
3. **المرحلة الشخصية / الفردانية - الانفصال :** في هذه المرحلة أدرك الطفل أن الموضوع مهم لبقائه ، لكن غيابه أو ابتعاده لا يشكل قلقا لديه ، لذلك يسعى الطفل إلى اخذ بعد بينه وبين الموضوع لأنه كون أنا قوي قادر على الاستقلالية و الانفصال عن الموضوع (Baily, 1995, p69)

قائمة المراجع

قائمة المراجع

اولا: المراجع العربية

- الخليدي عبد المجيد، حسن وهبي كمال (1997). الامراض النفسية والعقلية والاضطرابات السلوكية عند الاطفال. بيروت: دار الفكر العربي
- الاشول، عادل عز الدين (2008). علم النفس النمو من الجنين الى الشيخوخة. القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية
- الامارة اسعد شريف (2014). سيكولوجية الفروق الفردية. الاردن: دار صفاء للنشر والتوزيع
- الزعبي احمد (2013). علم النفس النمو والطفولة والمراهقة . دار زهران للنشر والتوزيع
- السيد عبد القادر الشريف (2014). المدخل الى رياض الاطفال. القاهرة: دار الجوهرة للنشر والتوزيع
- الوافي عبد الرحمن (2004). النمو من الطفولة الى المراهقة. الخنساء للنشر والتوزيع
- حجازي مصطفى.(2004). الصحة النفسية . المغرب: المركز الثقافي العربي
- حسين محي الدين (1982). الاكتشاف المبكر لقدرات الذكاءات المتعددة بمرحلة الطفولة المبكرة. الاردن: دار الفكر للنشر والتوزيع
- حقي الفت محمد (1992) . علم النفس النمو. القاهرة: دار المعرفة العربية
- سعد جلال (1998) الطفولة والمراهقة. دار الفكر العربي
- سليمان عبد الواحد يوسف (2011). الفروق الفردية في العمليات العقلية المعرفية. الاردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع
- سي موسي عبد الرحمان ، زقار رضوان .(2015) : العنف الارهابي ضد الطفولة و المراهقة . ديوان المطبوعات الجامعية .الجزائر
- شاکر عبد الحميد سليمان (1998). الفروق بين الجنسين في اساليب التعلم والتفكير. الاردن: دار الوفاق للطباعة والنشر

- عباس محمود عوض (1999). مدخل الى علم النفس النمو. القاهرة: دار المعرفة الجامعية
- عماد احمد حسن (2010). مبادئ اساسية في الفروق الفردية والقياس النفسي. القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية
- عيساوي عبد الرحمن (2000). اضطرابات الطفولة والمراهقة وعلاجها. لبنان: دار الراتب الجامعية
- كفاي علاء الدين، النيال مايسة احمد. (2008). الارتقاء الانفعالي والاجتماعي لطفل الروضة. الطبعة الاولى. عمان: دار الفكر
- محمد اسماعيل عماد الدين.(1995). الطفل من الحمل الى الرشد. الكويت: دار القلم للنشر والتوزيع
- مراد يوسف محمد (2011). مبادئ علم النفس العام . مصر: دار المعارف
- مقدم عبد الحفيظ (2003). الاحصاء والقياس النفسي والتربوي. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية
- ميموني معتصم بدر، ميموني مصطفى. (2010). سيكولوجية النمو في الطفولة والمراهقة. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية
- شرادي نادية (2011): التكيف المدرسي للطفل و المراهق على ضوء التنظيم العقلي. ط2. ديوان المطبوعات الجامعية . الجزائر
- فهمي مصطفى .(1990): الصحة النفسية -دراسات في سيكولوجية التكيف-. ط4 . مكتبة الخانجي القاهرة.
- لابلانث جان ، بونتاليس ج .(1997) . تر:مصطفى حجازي. معجم مصطلحات التحليل النفسي- ط2- المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع - بيروت-

- Ali sami.(1990) : Le corp,L'espace et le temps.DUNOD.Paris
- Anzieu didier .(2013) : Les enveloppes psychiques.DUNOD.Paris
- Anzieu didier.(1995) : LE Moi Peau.DUNOD.Paris
- Anzieu Didier.Chabert Catherine ,(2007) : Les méthodes projectives – PUF–PARIS
- Autiquet Michel .(2011) : La psychanalyse en clair . Ellipses édition.Paris
- Baily.D. (2005). L'angoisse de separation. Paris : Masson
- Balint Michael .(2000) : Les voies de la régression .édition payot et rivages.Paris
- Bayle Gérard .(2012) : Clivages ,Moi et défenses. 1édition.PUF.Paris
- Bergeret J.(1982) : La psychologie pathologie.Masson.Paris
- Berthe Reymond rivier.(1997) :Le développement social de l'enfant et de l'adolescent .13édition.MARDAGA.Belgique
- Bouhsira jacques.Boileau laurent danon.Janine claud.(2008) : Le Refoulement .1 édition.PUF.Paris
- Bourdin Dominique.(2004) : L'oubli, Dynamique du fonctionnement psychique. Armand colin. Paris
- Bucher Huguette. (2004). Développement et examen psychomoteur de l'enfant. Paris : Masson
- Castro Dana.(2006) : Pratique de l'examen psychologique en clinique adulte.DUNOD.France

- Chabert catherine , Verdon benoit.(2008) : Psychologie clinique et pathologie .PUF.Paris
- Chabrol Henri , Callahan Stacey. (2004) : Mécanismes de défense et coping .DUNOD ,Paris
- Debray AnneCharlet (2010). La psychologie de l'enfant. Le cavalier bleu
- Deldime Roger. (2004). Le developpement psychologique de l'enfant. Bruxelles :De Boeck
- Dolto Françoise (1994). Les étapes majeures de l'enfance . Paris :Gallimard
- Durieux marie claire. Oudinot martine janine.(2008) : Figure de la projection.PUF.Paris
- Fanguin Daniel .(2009) : Le Psychisme . Ellipses édition .Paris
- Florence jean.(1978) : L'identification dans la théorie freudienne. Publications des facultés universitaires Saint luis.Bruxelles
- Freud Anna.(2001) : Le moi et les mécanismes de défense .(TR : Anne Berman) .15édition.PUF.France
- Gramer Phebe . (2004) : Storytelling,Narrative, and the Thematic Apperception Test . The Guildford Press. New York
- Golse Bernard (2015). Le developpement affectif et cognitif de l'enfant. 5 edition. Paris : Masson
- Laplanche J.Pontalis JB.(1967) :Vocabulaire de psychanalyse.PUF.Paris
- Leguen Claude.(1992) : Le Refoulement.1 édition.PUF.Paris
- Niels Peter Regaard (2005). L'enfant abandonné. Bruxelles : De

- Piaget .J . (1980). Traité de psychologie expérimentale – La perception.
Paris : PUF
- Perron roger.(1985) : Genèse de la personne.1édition.PUF.France
- Perron Roger.(1988) :Histoire de la psychanalyse.1édition.PUF
- Perry J.Christopher .(2004) : Echelles d'évaluation des mécanismes de défense .Masson .Paris
- Pirlot gérard.Pedinielli jean louis.(2013) : Les perversions sexuelles et narcissiques.3édition.Armand colin.Paris
- Quinodoz Jean Michel.(2004) : Lire freud.1édition.PUF
- Rosier steve abadie.(2009) : Les processus psychiques. Les neurones Moteurs.Paris
- Vanier Alain.(2003) :Lexique de psychanalyse.Armand Colin.Paris
- Wallon.H. (1976). Les origines du caractères . Paris : PUF
-